343

HARLEQUIN

روايات أحلام

غرقت في بحر الشوق

جيسيكا ستيل

www.elromancia.com
مرمورية

غرقت في بحر الشوق

- أنا مستعدة لفعل أي شيء !

حدق فيها جون بثبات وسألها :

- أي شيء ! هل تعنين حقاً أي شيء ؟

لا عجب أن تقول ليدي هذا الكلام فالرجل الواقف أمامها الآن أنقذ أملاك عائلتها ولم يسمح بطردهم من منزلهم .

- سأفعل أي شيء .. شرط أن يكون قانونياً .

افتر ثغره عن ابتسامة غير إرادية قبل أن يسألها :

- كم عمرك ؟

كانت واثقة من أنه يعرف سنها ولكنها أجابت :

- 23 سنة . لماذا تسأل ؟

- إنني أتأكد فقط من أن ما سأطلبه منك قانوني إذا ما تم بين شخصين ناضجين موافقين ...

جيسيكا ستيل

تقيم جيسيكا ستيل في قرية «ورسسترشير» الجميلة مع زوجها الرائع بيتر. يمتلكان كلبة تدعى «ديزي» تظن أنها آدمية وهما لا يحاولان إقناعها بالعكس؛ فهي تسيطر عليهما سيطرة كاملة. كان بيتر أول من شجّع «جيسيكا» على الكتابة، وبعد أن تعرضت روايتها الأولى للرفض، ظلّ يحثها على المحاولة من جديد. لحسن حظها، استطاعت حتى الآن أن تزور كل البلدان التي تحصل فيها أحداث رواياتها المختلفة وأن تجري فيها أبحاثاً تساعدها على كتابة القصص. تقول جيسيكا إن الفضل في ذاك يعود لبيتر، لأنه لطالما ساعدها وشجّعها.

١ـ ذكرى لقاء

كانت مشاعر القلق تساور ليدي وهي تقود سيارتها إلى باكنغهامشاير حيث منزل أسرتها. لابد أن هناك خطباً ما، وقد أدركت ذلك ما إن سمعت صوت والدتها عبر الهاتف. إذ ليس من عادة والدتها أن تتصل بها.

ما إن ألقت عليها هيلاري بيرسون التحية حتى قالت: «أريدك أن تأتي في الحال إلى المنزل».

قالت ليدي تذكرها: «أنا قادمة يوم الثلاثاء المقبل كي أحضر حفل زفاف أوليفر نهار السبت».

أجابتها والدتها بحزم: «أريدك أن تأتي قبل ذلك».

ـ أتحتاجين إلى مساعدتي؟

ـ نعم، أنا بحاجة إليك.

بدأت ليدي تقول: «أوليفر..».

فقاطعتها والدتها بحدة: «لاعلاقة لأخيك وزفافه بالموضوع! فأسرة وارد واتسون قادرة على إقامة حفل زفاف مميز لابنتها الوحيدة».

صرخت ليدي بقلق: «أبي! هل هو مريض؟».

وأخذتها الأفكار إلى عالم والدها. فهي تشعر أحياناً أن القدر كان قاسياً عليه، إذ جمعه، وهو الرجل اللطيف الدمث الأخلاق، بوالدتها ذات اللسان السليط في معظم الأحيان.

ـ حالته الجسدية جيدة كالعادة.

سألت ليدي بحذر: «هل تقصدين أنه يعاني من مشكلة عقلية؟».

ـ بحق الله.. لا! إنه يشعر بالقلق فقط، وهو لا ينام جيداً و..».

ـ ما الذي يقلقه؟

حلَّ الصمت للحظات قليلة ثم ردت والدتها: «سأخبرك حين تأتين».

لكن ليدي أصرت قائلة: «لِمَ لايمكنك إخباري الآن؟».

ـ حين تصلين إلى البيت.

قالت ليدي محتجة: «لا يمكنك أن تفعلي ذلك بي!».

ـ لن أناقش الموضوع على الهاتف.

قالت ليدي بتمهل: «سأتصل بمكتب والدي».

ـ إياك أن تفعلي! يجب ألا يعلم أنني اتصلت بك.

ـ لكن..

ـ على أي حال، لم يعد لديه مكتب أصلاً.

ما الذي يحدث!

ـ هو..

قاطعتها والدتها بحدة: «تعالي إلى المنزل».

ثم أقفلت الخط في وجهها.

للوهلة الأولى، فكرت ليدي بمعاودة الاتصال بوالدتها، لكنها قررت بعد ثوان أن ذلك مضيعة للوقت.

بالرغم من تحذير والدتها، طلبت ليدي رقم هاتف مكتب والدها. لم تكن تريد إطلاعه على اتصال والدتها بل أرادت فقط أن تطمئن عليه قبل أن تعود إلى منزلها القديم الحبيب.

وبعد لحظات، شعرت بالقلق، فهاتف مكتب والدها لم يرن، لأن الرقم لم يعد في الخدمة..

وضعت ليدي سماعة الهاتف على الفور، وراحت تفتش عن ربة عملها، التي ستترك العمل لديها في الأسبوع المقبل. كانت دونا بمثابة أخت لها أكثر مما هي ربة عملها. وجدتها في غرفة الجلوس مع ابنتها صوفيا التي تبلغ من العمر عاماً واحداً وطوماس الذي يبلغ عمره ثلاث سنوات. وشعرت بغصة لأنها

ستترك هذه العائلة التي عملت لديها كحاضنة في السنوات الثلاث الماضية.

نظرت إليها دونا وسألتها وهي تبتسم: «ظننتني سمعت رنين الهاتف!».

ـ إنها أمي.

ـ هل كل شيء على ما يرام في منزلك؟

ـ ما موقفك إذا تركت العمل لديك قبل أسبوع من الموعد المقرر؟

اختفت الابتسامة عن وجه دونا وحلت مكانها المفاجأة: «تقصدين اليوم؟ سأكره ذلك بالطبع».

أكدت لها ليدي تشجعها: «أعلم أنك ستتدبرين أمرك بمفردك».

وها هي ليدي تقود سيارتها باتجاه قريتها، وهي تفكر في أنها لم تقم بزيارة منزلها الذي تحبه إلا قليلاً في الفترة الأخيرة. إن حب قصر بيمهارست يجري في دمها. منذ خمس سنوات، أي عندما بلغت الثامنة عشرة من عمرها لم يكن قرار مغادرته للعمل كمربية أطفال قراراً سهلاً.

عملت في البداية عند إحدى الأسر، لكن عملها لم يستمر طويلاً إذ راودت الزوج أفكار لا علاقة لها بعملها. وما لبثت أن بدأت بالعمل لدى دونا ونيك كمربية لابنهما طوماس الذي يحتاج للرعاية أثناء وجودهما في عملهما.

وبعد ولادة ابنتهما صوفيا، عانت دونا من الكآبة فقد تبين أن الطفلة مصابة بثقب في القلب. وحين بدأت دونا تخرج من هذه الحالة شعرت بالإحباط بسبب اضطرارها للعودة إلى العمل مجدداً. لكن زوجها نيك صارحها أنها إن لم تحتفظ بعملها فلن يعودا قادرين على دفع راتب المربية لطفليهما.

وهكذا تقرر موعد مغادرة ليدي يوم الثلاثاء المقبل حيث ستنتقل إلى منزل عائلتها لتحضر زفاف أخيها نهار السبت. ومع أن ليدي تعرف أنها ستجد فرصة عمل جديدة بسهولة إلا أنها ليست على عجلة من أمرها.

وعندما اتجهت بسيارتها إلى بوابة قصر بيمهارست، شعرت بالحنين إلى هذا المكان يتحرك في داخلها. فأوقفت السيارة للحظات لتمتع ناظريها

www.elromancia.com

بجماله. لطالما علمت ليدي أن بيمهارست سينتقل إلى أخيها يوماً ما، لكن ذلك لا يمنعها من الإحساس بالسعادة كلما زارت المكان. تذكرت أن والدتها تنتظر وصولها الآن، فأدارت المحرك من جديد وركنت سيارتها بالقرب من المدخل. عاودتها المخاوف من جديد بشأن والدها. ما الذي يقلقه؟ ولِمَ هاتف مكتبه خارج الخدمة؟

تركت سيارتها عند المدخل، وفكرت في أن أول اهتماماتها الآن هو الاطمئنان على والدها.

وسرعان ما وجدت والدتها في الصالة تتحدث إلى السيدة روس، مدبرة المنزل. قبّلت ليدي أمها وتبادلت التحية مع السيدة روس ثم تبعت أمها ذات الجسم النحيف إلى قاعة الاستقبال. بدأت والدتها بالتذمر وهي تغلق الباب خلفهما قائلة بنبرة لاذعة: «لقد استغرقت وقتاً طويلاً للوصول إلى هنا!».

أجابت ليدي: «كان عليّ أن أوضب أغراضي. بما أنني كنت سأترك العمل في الاسبوع المقبل، فلم أر داعياً لأن أعود إلى هناك لأجمع حاجياتي».

وما لبثت أن سألت: «ما الذي يجري؟ لقد اتصلت بمكتب والدي و..».

قاطعتها والدتها بنزق: «طلبت منك ألا تفعلي».

ـ ما كنت سأخبره عن اتصالك! رقم هاتفه لا يجيب على أيّ حال. أين أبي الآن؟ قلت إنه لم يعد يملك مكتباً، لكن هذا مستحيل. لسنوات..».

قاطعتها هيلاري بيرسون مجدداً: «لم يعد لديه مكتب، إذ لم يعد لديه عمل يقوم به».

اتسعت عينا ليدي الخضراوان الجميلتان بذهول.

ـ تعنين أنه لم يعد..! هل باع الشركة؟

ـ باعها؟ بل أخذت منه!

سألتها ليدي باضطراب: «أخذت منه؟ تقصدين.. تعرض للسرقة؟».

ـ بل أسوأ من ذلك. لم يستطع تسديد القروض للمصرف، فوضع هذا الأخير يده على كل شيء. الشركة أولاً، وسوف يأخذون المنزل قريباً.

شعرت ليدي بالرهبة فهمست: «يريدون سلبنا بيمهارست؟».

ـ نعم. نحن نعلم كم أنت متعلقة بهذا المكان. لطالما كنت كذلك. لكن إن لم تفعلي شيئاً حيال الأمر، فسيجبروننا على بيع المنزل لدفع الديون.

بدأ رأس ليدي يدور: «إن لم أفعل شيئاً.. أنا..؟

ـ تكلّف والدك مبالغَ طائلة على دراستك، وقد ذهبت كلها سدى. حان الوقت لتردي له الجميل.

لطالما علمت ليدي أنها خيبت أمل والدتها التي اعتبرت أن ابنتها اختارت مهنة مخجلة. فمع أن ليدي حصلت على علامات متفوّقة إلا أنها اختارت أن تكون مربية أطفال وهي مهنة وضيعة بنظر والدتها.

نظرت إلى أمها نظرة ملؤها الريبة. ترد له الجميل؟

ـ تركت لي جدتي بضع جنيهات، يمكن لوالدي أن يأخذها بالطبع ولكن..

ـ لا يمكنك استعمال هذا المال قبل بلوغك الخامسة والعشرين من عمرك. على أي حال، نحن بحاجة إلى مبلغ أكبر من هذا بكثير لئلا نطرد من هنا كالفقراء المعوزين.

يطردون من بيمهارست.. مستحيل! لم تستطع ليدي تصديق ذلك. لم تصدق أن الأمور بهذا السوء. فأفراد عائلة بيرسون يتوارثون قصر بيمهارست منذ أجيال، ولم تكن فكرة التخلي عنه واردة أبداً.

تابعت والدتها بغضب: «أخبرت والدك أنني سأرحل أنا أيضاً إذا ما خسرنا هذا المنزل».

لكن والدها يحتاج إلى دعم زوجته في هذه الظروف، لذا يجب ألاّ تهدده بالرحيل. صرخت ليدي وهي تشعر بالغضب: «أمي!».

لم تتمكن من إضافة أي شيء بسبب عودة السيدة روس وهي تحمل صينية الشاي لتضعها أمامهما. تقدمت والدتها من صينية الشاي، فيما حاولت ليدي تهدئة نفسها. وأدركت باستغراب أن آخر مرة زارت فيها المنزل كانت منذ أربعة أشهر.

ناولتها والدتها فنجان الشاي. فجلست ليدي قبالتها، ثم سألتها بهدوء: «ما الذي يجري؟ بدا كل شيء على ما يرام في آخر زيارة لي إلى هنا».

لم تستطع والدتها منع نفسها من أن تقول: «منذ ستة أشهر؟».

ثم تابعت: «كانت الأمور سيئة للغاية».

ـ لم أر أي إشارة تدل على ذلك.

ـ والدك لم يشأ أن تعلمي. قال إن لا حاجة لذلك، وإنك ستشعرين بالقلق من دون سبب، وإنه سيفكر بحل للصعوبات.

حاولت ليدي أن تركز تفكيرها على المسألة الرئيسة: «لكنه لم يتمكن من الوصول إلى حل مناسب؟».

نظرت إليها والدتها بتجهم: «لقد خسر عمله والمصرف يطالب باسترداد أمواله».

وجدت ليدي صعوبة في استيعاب الأمر. فالأمور تتجه نحو الأسوأ. لطالما امتلكت أسرتها المال الوفير، فكيف وصلت الأمور إلى هذه الدرجة ولم يطلعها أحد على الأمر؟ قد تتفهم سبب صمت والدها، فهو رجل عزيز النفس. لكن.. والدتها؟

ـ أين ذهبت أموالنا؟ لِمَ لم يقم أوليفر..؟

قاطعتها والدتها وقد شعرت أنها تحاول إلقاء اللوم على ابنها الحبيب: «من الطبيعي أن تحتاج أعمال أوليفر إلى بعض الدعم. كما أنه من الطبيعي أن يقوم والدك باستثمار جزء من أمواله لصالح ابنه. كما أنّ آل وارد واتسون، أسرة مادلين، أثرياء، لذا لا يمكننا أن ندع أخاك يبدو أمامهم وكأنه لا يملك فلساً».

أدركت ليدي أن ذلك يعني السماح لأوليفر بأن يصطحب مادلين إلى أفخم المطاعم وأماكن التسلية بغض النظر عن الكلفة. منذ خمس سنوات بدأ أوليفر مشاريعه الخاصة، في ذلك الوقت كانت شركة والدها تبلي بلاءً حسناً. وقد استثمر والدها جزءاً كبيراً من أمواله في المشاريع الخاصة بابنه.

حاولت ليدي أن تشرح وجهة نظرها: «لم أقصد أن أوليفر.. أخذ كل

تلك الأموال. ما قصدته هو لما لم يخبرني بالأمر».

ـ تعلمين أن أوليفر ومادلين كانا في عطلة في جنوب أميركا حين أتيت إلى المنزل في المرة الأخيرة.

سألتها ليدي: «لكن أعماله تسير بشكل جيد، أليس كذلك؟».

ومرة أخرى، نظرت إليها والدتها بتجهم، ما زاد من مخاوفها.

ـ في الواقع، قرر أن... يترك العمل في التجارة.

ـ أتقولين إنه أفلس هو أيضاً؟

فأجابتها والدتها: «هل من ضرورة لأن تستخدمي هذه الألفاظ السوقية؟»

ثم أضافت: «الشركات كلها تعتمد على قروض مصرفية. لكن أوليفر وجد أن الصراعات كثيرة في هذا المجال، لذا حين يعود مع مادلين من شهر العسل سوف يعمل في شركة وارد واتسون».

وبدت على وجهها ابتسامة، هي الأولى حين قالت: «لن يفاجئني أن يعيّن أوليفر مديراً لمجموعة وارد واتسون بعد حين».

بدا ذلك مرضياً، لكنه لن يوصلهم إلى أي حل.

ـ أفهم من كلامك أن أوليفر لن يتمكن من مساعدة والدي؟

ـ إنه يحتاج إلى المال ليتمكن من إعالة زوجته. فكما تعلمين، مادلين معتادة على مستوى عالٍ.

اعتصر الألم فؤاد ليدي على والدها العزيز النفس، الذي لطالما عمل بجهد. فسألت والدتها: «وأين أبي الآن؟ هل هو في العمل؟».

ـ لم تحزري. إنه الآن عاطل عن العمل، ولن يقوم أحد بتوظيفه وهو في هذه السن. على أي حال، لا أظنه سيتنازل ويعمل لحساب أي شخص آخر.

استغرقت ليدي في التفكير. يبدو أنّ الأمور أسوأ مما تصورت: «هل خرج يتفقد الأملاك؟».

ـ أي أملاك؟ الأملاك بيعت كلها. وبما أنها ليست سوى أراضٍ زراعية، فلم تثمّن بسعر جيد.

ظهر التوتر على والدتها بشدة وهي تكمل: «لقد باع والدك ما تمكن من

بيعه ولم يبق إلا المنزل. والآن يريد المصرف الاستيلاء عليه. مما يعني أن علينا المغادرة..».

وتابعت والدتها الكلام اللاذع لخمس دقائق إضافية. فبدأت بالحديث عن أحوالهم السيئة، وكيف أنهم على شفير الإفلاس.

ـ المصرف هو الممول الأخير له. وقد عمل على توفير الكثير ليدفع لجميع الدائنين الآخرين، كما أنه سحب أمواله كلها من المصرف. لكن، اليوم هو يوم الثلاثاء، ويقول المصرف إنه أعطاه مهلة كافية للتسديد، لذا إن لم يودع لديهم خمسين ألف جنيه حتى يوم الجمعة، فسيتحرك المصرف. وبالتالي سيكون علينا نحن أيضاً أن نغادر المنزل! هل تتخيلين ذلك؟ يا للعار! لن يقال إنه زفاف أوليفر بيرسون «مالك قصر بيمهارست» بل أوليفر بيرسون الذي لا يملك أي فلس.

كانت والدتها تتابع تلك الثرثرة، لكن ليدي قاطعتها: «يبدو لي أن الخمسين ألف جنيه ليست ذلك المبلغ المخيف».

ـ بل يبدو كذلك حين لا تملكين شيئاً منه أو حتى لا تجدين وسيلة للحصول عليه. ليس لدينا أي ضمانة سوى المنزل. كيف يمكننا اقتراض المال من دون وجود طريقة لنسدد الدين لاحقاً؟ على أي حال، لن يقوم أحد بإقراضنا المال، لقد أجهد والدك نفسه بما يكفي، والمصرف لن ينتظر أكثر. لذا عليّ أنا أن أدفع الثمن الآن!

فكرت ليدي بجهد ثم قالت: «اللوحات! يمكننا أن نبيع بعض اللوحات التي تملكها العا..».

ـ ألم تصغي لأي كلمة قلتها؟ ألم أخبرك للتو أن كل شيء.. كل شيء لم يسجل باسم أوليفر بيع؟

بدت والدتها على وشك البكاء. لم ترها ليدي يوماً على هذا الحال، فاعتصر الألم فؤادها من أجلها. ورغم أن والدتها لم تكن يوماً تلك الأم الحنون عليها، إلا أنّ ليدي تحبها كثيراً. جلست قربها على الأريكة وهي تقول بلطف: «أنا آسفة، آسفة جداً».

وفجأة تذكرت ما قالته أمها منذ قليل، بأن عليها أن تسدد للأسرة ما تكلفته من أقساط باهظة. فسألتها: «ما الذي يمكنني أن أفعله؟».

قالت والدتها بوضوح: «يمكنك الذهاب لرؤية جون ماريوت. هذا ما يمكنك فعله».

حدقت ليدي إلى أمها بعينيها الخضراوين الواسعتين، وقالت بتردد: «جون.. ماريوت؟».

لم تره سوى مرة واحدة منذ سبع سنوات، لكنها لم تنس ذلك الرجل الطويل القامة، صاحب الطلة المميزة.

ـ هل تتذكرينه؟

ـ لقد أتى إلى هنا مرة واحدة. ألم يقم والدي بإقراضه المال؟

ردت هيلاري بيرسون بحدة: «لقد فعل. والآن عليه أن يرد لنا المال».

شعرت ليدي بخيبة أمل، فسألتها: «ألم يرد المال لوالدي؟».

كانت يومها في السادسة عشرة من عمرها، وبدا لها أنه رجل محترم، كما أنها تعلم أن أعماله ازدهرت كثيراً في السنوات السبع الماضية.

ـ إن المبلغ الذي نحتاج إليه لكي نبقى في هذا المنزل يساوي المبلغ الذي أقرضه إياه والدك.

ـ خمسون ألف جنيه؟

ـ تماماً. ما كنت لأضغط عليك لولا أنهم سيطردوننا من المنزل صباح الاثنين، إن لم يحصل المصرف على المبلغ المطلوب يوم الجمعة. كما كنت لأذهب بنفسي لمقابلة جون ماريوت، لكنني حين ذكرت الأمر لوالدك غضب ومنعني من ذلك.

لم تستطع ليدي أن تتخيل والدها اللطيف الدمث وهو غاضب، خصوصاً في وجه والدتها التي يعشقها. لكن لا بد أنه يتعرض لضغوطات هائلة في هذه الفترة. ولا شك أنه طلب من جون ماريوت أن يسدد ذلك القرض، لكن من المستحيل أن تسمح له عزة نفسه بأن يطلب ذلك منه مرة أخرى. لكن أفكارها تلاشت حين فتح باب الصالة ودخل والدها. صُدمت ليدي لرؤية نظراته

الكئيبة وهمست بشكل لا إرادي: «بابا».

وهرعت نحوه بسرعة. تفتت قلبها لرؤية عزيمته الواهنة ولم تتحمل النظر إلى وجهه المرهق. عانقته بشدة لكن والدها تركها جانباً ورمق زوجته بنظرات شك قبل أن يسألها: «ماذا تفعلين هنا؟».

حاولت ليدي أن تجد سبباً تخفي وراءه مشاعرها وإحساسها بالصدمة: «فكرت بأن أعطي دونا فرصة لترى كيف يمكنها تدبر شؤون المنزل من دوني. سأتصل بها لاحقاً، فإن كانت بخير سأبقى هنا. إن كنت لا تمانع طبعاً».

أجابها بفرحة مزيّفة: «بالطبع، لا أمانع. إنه منز..».

ثم استدار قبل أن يكمل كلمته ما جعل قلبها يعتصر من الألم. علمت أنه يفكر بأن هذا هو منزلها لكنه لن يعود كذلك قريباً. سألها قائلاً: «هل أخبرتك والدتك بالمستجدات؟».

كانت نبرة صوته عادية، لكن بدا واضحاً أنه لن يرضى بأن تفضي زوجته بكلمة واحدة عن مشاكله.

- يبدو أن زفاف أوليفر سيكون رفيع المستوى. هل سينصبون سرادقاً من أجل حفل الزفاف؟ لم تخبريني عن أمر كهذا أمي.

وفي نصف الساعة التالي، راحت ليدي تراقب مظهر الابتهاج الكاذب الذي حاول والدها إظهاره، فانفطر قلبها. بعد رؤيته ورؤية الجهد والقلق اللذين يهدان كيانه، لم تعد ليدي ترى أن مقابلة جون ماريوت ومطالبته بتسديد المال الذي استدانه من والدها منذ سبع سنوات بالمهمة الصعبة. وإذا لم تخنها ذاكرتها فإن ذلك المال تحديداً كان قرضاً لخمس سنوات فقط.

غيّرت والدتها الحديث عن الزفاف وقالت: «غرفتك جاهزة، إذا كنت تودين أن ترتاحي قليلاً».

علق ويلموث بيرسون قبل أن تجيب ليدي: «لدي أعمال أنهيها في مكتبي. يسرّني أن أراك ليدي. لنأمل أن تتمكني من البقاء».

وما إن خرج والدها من الغرفة حتى عادت والدتها للتكلم في الموضوع

المحرّم. فسألت ليدي: «حسناً، هل ستقومين بذلك؟».

علمت ليدي عما تسألها والدتها، لكنها علمت أيضاً أنها لا تود الذهاب لمقابلة جون ماريوت. لذا تجنبت إعطاءها رداً محدداً: «هل أنت واثقة من أنه لم يرد القرض بعد؟».

رمقتها والدتها بنظرة حادة، فعلقت ليدي قائلة: «قد لا يستطيع دفع المال الآن».

ثم ذكرت والدتها قائلة: «لقد قلت بنفسك منذ قليل إن الشركات كلها تعتمد على القروض».

لكنها تذكرت منظر والدها ما جعلها تشعر بالارتجاف، وتساءلت لما تراوغ بشأن الذهاب لرؤية جون ماريوت.

اختارت والدتها أن تتجاهل تعليقاتها وقالت بسخرية: «سيتمكن من تسديد المال الآن، فقد حصل والده على ثروة بعد أن باع محلاته. قد يكون آمبروس ماريوت رجل أعمال قاسٍ، لكنني لا أتصوره يعطي المال لأحد أبنائه ويحرم الآخر. وابنه الأصغر لم يقم بأي عمل منذ تلك الصفقة الناجحة».

ثم تابعت والحسرة تملأ قلبها: «إنهم يعيشون حياة هانئة سهلة، وانظري إلينا نحن كيف نعيش!».

حدقت ليدي إلى وجه والدتها. إن آخر ما تريده هو الذهاب لرؤية جون ماريوت لتطلب منه إعادة المال لوالدها، لكنها أدركت أن الوقت لم يعد ملائماً للتهرب من تلك المهمة. نظرت إلى ساعة يدها. إنها الرابعة والنصف والأجدر بها أن تتحرك الآن: «هل لديك رقم هاتفه؟».

قالت والدتها بسخط: «لا يمكنك مناقشة هذا الموضوع معه على الهاتف. أنت بحاجة لرؤيته وجهاً لوجه لتتمكني من التأثير فيه. كيف..».

قاطعتها ليدي: «أردت أن أحدد موعداً معه. فأنا أشك في أن يوافق على رؤيتي من دون موعد مسبق».

قالت هيلاري بيرسون بتصميم: «لا أريد أن يشك والدك بالموضوع. من

الأفضل أن تكلميه من غرفتك».

ثم تابعت لئلا تسمح لليدي بتغيير رأيها: «سأصعد معك إلى الغرفة».

حين طلبت ليدي الرقم من غرفتها، ردّ صوت لطيف: «الكترو ماريوت».

حاولت ليدي جهدها لئلا يرتجف صوتها فقالت حزم: «أود التكلم إلى السيد ماريوت، من فضلك».

أجابتها عاملة الهاتف: «انتظري لحظة من فضلك».

شعرت ليدي بتقلص في معدتها لأنها ستتكلم قريباً مع ذلك الرجل. ورغم أنها لم تره سوى مرة واحدة إلا أنها لم تنسه قط. هدأت معركة معدتها حين سمعت صوتاً هادئاً لطيفاً يقول: «مكتب السيد ماريوت».

قالت ليدي بسرعة: «مرحباً. أنا ليدي بيرسون، أتساءل إن كان بإمكاني التحدّث إلى السيد ماريوت؟».

ـ أخشى أن السيد ماريوت لن يعود إلى مكتبه قبل يوم الجمعة. هل استطيع مساعدتك في أيّ شيء؟

أدركت أن والدتها المتوترة تراقبها، فتابعت قائلة: «أردت أن أتكلم معه في أمر ضروري ومستعجل».

وتابعت وكأنها تفكر بصوت عالٍ: «همم.. ربما من الأفضل أن أطلب رقم منزله».

لكن ليدي علمت مسبقاً أن المرأة، وهي على الأرجح مساعدة جون ماريوت الشخصية، لن تعطيها رقم هاتفه الخاص.

ـ في الواقع، السيد ماريوت خارج البلاد، ولن يعود حتى وقت متأخر من مساء يوم الخميس.

آه، للأسف.. أرادت ليدي أن تنهي الموضوع بسرعة، لكنها قالت بلطف: «إذن، سأتصل به يوم الجمعة».

ثم وضعت السماعة لتواجه نظرات والدتها التي حاولت أن تستمع إلى كل كلمة.. وإذا بها تصرخ: «ستفقد المنزل. كنت أعلم ذلك.. أعلم ذلك!».

لم تر ليدي يوماً والدتها على هذا القدر من الذعر. إلا أن ذلك جعلها تقدر صعوبة الموقف وقسوته، وبدأت تشعر بالغضب من جون ماريوت. فقالت بصوت هادىء قدر المستطاع: «لا، لن نخسره. سأذهب لرؤية ماريوت يوم الجمعة، ولن أغادر مكتبه إلا بعد أن يدفع ما يدين به لوالدي».

لم يتسن لليدي في اليومين التالين أن تعيد التفكير في مقابلة جون ماريوت. فرؤيتها لوالدها الذي أضنته الهموم، وإصرار والدتها على أنها أمل الأسرة الوحيد، لم يتركا لها خياراً سوى الذهاب لمقابلته.

بين الفينة والأخرى، كان صوت المنطق يعلو ليسألها: ما الذي يجعلها تعتقد أن جون ماريوت سيرجع المال لوالدها؟ فهو لم يتجاوب معه في السابق. فما الفارق الذي تظن أنها ستحدثه؟ لكن تعاطفها وحبها لوالديها وتوقع حصول كارثة لأسرتها.. كل ذلك أسكت صوت المنطق في عقلها.

في الأيام التالية التي تفصلها عن يوم الجمعة، راح غضبها من جون ماريوت يتزايد، ثم تحوّل هذا الغضب إلى حقد حين فكرت بأن والدها أقرضه المال بنية حسنة لكنه قام بصده حين طالبه برده إليه. إلا أن حقدها هذا تضاءل حين تذكرت لقاءها الوحيد به. لقد اعتادت ليدي أن تساعد والدها في مكتبه، خلال عطلتها المدرسية. وفي إحدى المرات علمت أن شخصاً سيحضر إلى المنزل لاقتراض المال من والدها، لكنها نسيت الأمر إلى أن عادت إلى المنزل ووجدته جالساً في قاعة الاستقبال. حينذاك كانت ليدي في السادسة عشرة من عمرها، طويلة القامة، لكنها هزيلة الجسم وشديدة الخجل.

ما إن رأته حتى علا الاحمرار وجنتيها، لا بل إن اللون الوردي امتد ليصل إلى منبت شعرها، فتمتمت قائلة: «أنا آسفة، لم أكن أعلم بوجود أحد هنا».

وقف الرجل باحترام من دون أن يجيبها ما جعلها تتورد خجلاً من جديد، ووجدت نفسها مضطرة لأن تسأله: «هل تنتظر بابا؟».

كانت عينا الرجل زرقاوين مذهلتين، وتذكرت ليدي كيف نظر إليها مباشرة قبل أن يعلق قائلاً بصوت رجولي مميز: «إذا كان والدك السيد ويلموث بيرسون، فالجواب هو: نعم».

فقالت: «أنا ليدي بيرسون».

أجابها: «أنا جون ماريوت».

مد يده لمصافحتها كما يفعل مع أي فتاة راشدة. صافحته ليدي وهي تشعر بالتوتر، واحمر وجهها بشدة حين تلامست يداهما، فقد بدت لمسته قوية ودافئة. سألته وهي ترتعش: «هل تود احتساء الشاي، سيد ماريوت؟».

ابتسم لها، فخطر لليدي أنه يملك أجمل ابتسامة في العالم. لكنه رفض عرضها قائلاً بتهذيب: «شكراً آنسة بيرسون».

شعرت بالخجل، واحمرّت مجدداً، ففكرت بقلق أنه يسخر منها هذه المرة. لكن ما لبث أن دخل والدها قائلاً: «أعتذر للتأخير جون. لقد أجريت مخابرة فتم ترتيب كل الأمور تقريباً».

ثم نظر بحنان إلى ابنته وتابع: «يبدو أنك التقيت ليدي. قريباً ستضطر للابتعاد عن بيمهارست التي تعشقها لتعود إلى مدرستها مجدداً، وذلك مع انتهاء العطلة الصيفية».

أجاب جون وهو يلتفت إلى ليدي: «أنا واثق أنك ستفتقدها».

ما جعل وجنتا ليدي تحمران مجدداً فانسحبت من الصالة وهي تتمتم: «أراك لاحقاً».

وهكذا بدأ افتتانها الكبير بجون ماريوت. لكنها لم تره بعد ذلك. لذا، لم تتمكن من معرفة المزيد عنه. فقد كان في أواخر العشرينات من عمره ولديه عمله الخاص، الذي هو عبارة عن شركة الكترونيات. تمكنت في مناسبات مختلفة من أن تلتقط بعض المعلومات عنه.

عرفت ليدي أن جون هو الابن البكر لآمبروس ماريوت صاحب سلسلة من المحلات التجارية الكبرى، وأنه أنهى دراسته الجامعية وأعلن أنه سيبدأ مشروعاً خاصاً به. عندما شعر جون أنه قادر على ترك شركة العائلة وتأسيس شركة خاصة به، لم يوافق والده على ذلك. لذا اضطر لاقتراض المال من المصرف لبدء مشروعه. وراح ينتقل بعدئذ من نجاح إلى آخر. لكن، حين أراد

توسيع أعماله، كان لا يزال مديناً للمصرف، فأقرضه هذا الأخير جزءاً من المال الذي يحتاج إليه إنما لم يكن كافياً. ومنعته عزة نفسه من طلب المال من والده، فطلب المساعدة من والدها وهو رجل أعمال معروف.

استيقظت صباح يوم الجمعة، بعد ليلة من النوم المتقطع. لقد اقترض جون ماريوت خمسين ألف جنيه من والدها ولم يردها بعد. واليوم بالتحديد، عليها أن تقوم بشيء ما حيال هذا الموضوع.

أحسّت ببعض التردد، لكن شكوكها ما لبثت أن تبخرت تماماً حين نزلت لتناول الفطور. لاحظت أن والدها لم ينم نوماً متقطعاً مثلها، بل بدا أنه لم ينم على الاطلاق. أجبر نفسه على الابتسام وهو يسألها: «وما الذي ستقومين به اليوم؟».

تمنت ليدي لو تستطيع أن تقول له إنها تعلم كل شيء لكنها لم تتمكن من تحطيم كبريائه. حين تعود من زيارتها لجون ماريوت سيكون الوقت مناسباً أكثر لإخباره. فإن سار كل شيء بشكل جيد، قد يتصل جون ماريوت بالمصرف ليخبره أنه سيدفع ديون والدها كلها. عندئذٍ فقط ستتمكن من إخبار والدها بما فعلته. أجابته: «لم أر عمتي أليس منذ فترة طويلة. فكرت بالذهاب اليوم لرؤيتها».

ـ ستحضرينها لتبقى هنا حتى زفاف أوليفر في الأسبوع القادم، أليس كذلك؟

تذكرت ليدي ما كتبته العمة أليس في آخر رسالة لها، فقالت: «إنها لا تريد قضاء الليل خارج منزلها».

غمغم قائلاً: «نحن.. أنا وأمك وأوليفر سنذهب لقضاء الليلة في الفندق. إنها فكرة والدتك».

ثم تابع بجفاء: «ستشعر هيلاري بالأسف إذا لم تأت عمتها للبقاء هنا».

عبست ليدي، فهي تظن أن العمة أليس ذكية، فيما تعتبرها والدتها عنيدة. بعد الفطور، ارتدت بذلة أنيقة ذات لون أزرق مغبر، ورفعت شعرها لتربطه في عقدة أنيقة عند قمة رأسها، ما أبرز جمال وجهها.

قادت ليدي سيارتها إلى مكاتب الكترو ماريوت في لندن. علمت أنها قد تنتظر طيلة النهار. لكن، إذا كان جون ماريوت في الشركة ورفض مقابلتها، فسيكون عليها أن تتواجد بالقرب من المكان لتتحدث إليه حين يغادر الشركة.

شعرت ليدي بالاضطراب منذ أن استيقظت في الصباح. لكن اضطرابها راح يزداد كلما اقتربت من لندن. وجدت موقفاً لتركن سيارتها، وتابعت رحلتها إلى مبنى شركة الكترو ماريوت. وما إن أصبحت أمام المبنى حتى شعرت بنفور حاد من فكرة الدخول إليه. لكنها لا تقوم بهذا العمل من أجلها بل من أجل والدها. وتذكرت مظهر والدها الواهن عند الفطور فقررت دفع الباب الزجاجي، والتوجه إلى مكتب الاستقبال.

كانت موظفة الاستقبال مشغولة بالتحدث إلى أحدهم، وثمة شخص آخر ينتظر أيضاً. أقفلت الموظفة الهاتف لتنقل الرسالة إلى الرجل الذي يرتدي بذلة: «ستنزل مساعدة السيد ماريوت الشخصية لمقابلتك».

لم تسمع ليدي بقية الحديث، بل حدقت إلى المصاعد وإذا بأحدها يتحرك. عرفت من الأرقام الظاهرة على اللوحة الالكترونية، أن المصعد يهبط من الطابق الأخير. ومن دون أن تفكر بما تفعله تحركت نحو ذلك المصعد. عندما فتح بابه، خرجت منه امرأة أنيقة المظهر في الأربعين من عمرها، وتوجهت مباشرة إلى ذلك الرجل والابتسامة تعلو وجهها. عندئذ، دخلت ليدي إلى المصعد وطلبت الطابق الأخير. فكرت في أنها قد تكون أخطأت التقدير. لكن إن صدق إحساسها، فإن تلك المرأة هي المساعدة الشخصية لجون ماريوت. وإذا نزلت من الطابق الأخير، فأغلب الظن أنها ستجد جون ماريوت هناك.

توقف المصعد وخرجت ليدي منه. شعرت بالحرارة تغزو جسمها بأكمله وكأنها تعاني من مرض شديد. دفعتها غريزتها للسير عبر الرواق المفروش بالسجاد. وبالرغم من اضطراب مشاعرها، أدركت أن مكتب صاحب هذه المؤسسة لا بد أن يكون بعيداً عن الفوضى التي تسببها حركة المصاعد.

لاحظت العديد من المكاتب على جانبي الرواق، لكن ليدي تجاهلتها جميعها. واستدارت عند الزاوية في آخر الرواق لتواجه بابين. ترددت

للحظات.. ثم بدأت تشعر أنها أخطأت الطريق. وسيطر عليها التوتر والقلق فشعرت بالاضطراب.. لقد أخطأت حقاً! وغدا ذهنها مشوشاً.. لكنها، ومع ذلك تقدمت وأمسكت بقبضة الباب إلى يمينها. تمهلت لبرهة، ثم أدارتها.

شعرت ليدي بالصدمة حين فتح الباب إلى الداخل، وإذا بها ترى رجلاً يجلس وراء مكتبه. فلم تعد تستطيع التحرك أو التكلم.

نظر الرجل إليها، فتوردت وجنتاها فيما الرجل لا يزال يحدق إليها. وقف وبدأ يتحرك من وراء مكتبه حتى وصل إليها. ومع أنها تعتبر طويلة إلا أنه اضطر إلى خفض بصره لينظر إليها وهو يلاحظ ذهولها التام، ثم علق قائلاً: «أما زلت تتوردين خجلاً ليدي؟».

لقد تذكرها، وتذكر احمرارها خجلاً منذ سبع سنوات! سمعت نفسها تقول ببلاهة، وكأنها في عالم آخر: «أنا.. أنا ليدي بيرسون».

أجابها بلطف: «أعلم من أنت».

ثم دعاها للدخول: «تفضلي واجلسي».

تقدمت ليدي خطوتين إلى الداخل، فأغلق جون ماريوت الباب، ووضع يده على مرفقها يحثها على التقدم. شعرت ليدي بدوار عميق. وقبل أن تتمكن من مساعدة نفسها على الجلوس، وجدت نفسها جالسة في الكرسي أمام مكتبه، فيما لا يزال رأسها مشوشاً بفكرة أنه عرفها فوراً. سألته: «ألم أتغير في هذه السنوات السبع؟».

راحت عيناه توزعان نظراتهما على جسدها النحيف الذي غدا أكثر توازناً وجمالاً. وأجابها بلطف: «لا يمكنني قول ذلك. لكن ألين، مساعدتي الشخصية، تركت لي ملاحظة تقول إن ليدي بيرسون اتصلت بي يوم الثلاثاء. فتذكرت ليدي بيرسون ذات الشعر الأسود والعينين الخضراوين والمظهر المميز ففكرت في أنك هي من دون شك».

توقف قليلاً عن الكلام فيما بدا التأثر على ليدي لأنه يرى أن مظهرها مميز. ثم تابع جون يسألها: «أنت ما زلت ليدي بيرسون؟».

كانت ليدي مستغرقة في تفكيرها، فلزمها بضع لحظات لتفهم ما عناه بسؤاله، فتمتمت: «أنا لست متزوجة».

وبنظرة سريعة إلى يده اليسرى أدركت أنه هو أيضاً، لا يضع خاتم زواج، فقالت: «ولا يبدو أن إحداهن أوقعت بك أيضاً!».

ظهرت شبه ابتسامة عند زاويتي فمه وأجاب مؤكداً: «الإيقاع بي ليس أمراً سهلاً، فساقاي طويلتان».

ـ تعني أن بإمكانك الهروب بسهولة لدى سماعك كلمة زواج؟.

لم يجبها جون فهو لم يكن بحاجة لذلك، بل سألها: «إذن، كيف تسير الأمور معك؟».

نظرت ليدي إلى مكتبه لتبعد عينيها عن عينيه الزرقاوين المذهلتين. بدا واضحاً من الملفات والأوراق أنه مشغول بإتمام أعماله المتراكمة. وبالرغم من ذلك، راح ويتصرف كأنه يملك الكثير من الوقت ما يسمح له بالتحدث إلى شخص بالكاد يعرفه، شخص رآه لبضع دقائق منذ سبع سنوات.

قالت ليدي بشيء من الفظاظة: «آه... هذه ليست زيارة مجاملة».

سألها بلطف: «أحقاً، ليست كذلك؟».

شعرت بحافز غير متوقع لتقوم بضربه لكنها حاولت تهدئة غضبها. وحين نجحت نسبياً، تمكنت من أن تقول: «يبدو أن والدي لم يحقق في السنوات السبع الأخيرة نجاحاً باهراً في الأعمال كنجاحك».

هزّ جون رأسه بطريقة تدل على أنه على علم بذلك فزاد ذلك في انزعاجها. وإذا بجون يقول ببرودة: «هذا ما يحدث عندما يقدم الوالد مساعدات ضخمة لابن كأخيك».

كيف يجرؤ على لوم أخيها؟

ـ لقد انتهت أعمال أوليفر.

ردّ جون ماريوت عليها ببرودة أيضاً: «يفترض أن يسهل ذلك الأمور على والدك».

أجابته بقوة: «والدي أيضاً خسر شركته».

ما إن قالت ذلك حتى شعرت أنه بدأ يأخذ كلامها على محمل الجد.

ـ أنا آسف جداً لسماع هذا. ويلموث رجل أعمال من الدرجة الأولى..

قاطعته ليدي بحدة: «عليك أن تشعر بالأسف. ولو كنت تملك ما يكفي من اللباقة، لسددت دينك له».

ردد جون باستغراب: «لسددت ديني له؟».

قال ذلك وكأنه لم يستوعب عما تتحدث.

ـ هل تعني أنك نسيت أمر مجيئك إلى منزلنا منذ سبع سنوات لاقتراض خمسين ألف جنيه من والدي؟

ـ يصعب نسيان ذلك. إن لم يكن من أجل والدك...

قاطعته مجدداً، وبحدة: «إذن، لقد حان الوقت لتعيد ذلك القرض».

وفجأة، لم تعد تتحمل البقاء جالسة فقفزت لتقف على قدميها. لكنها وجدت أن جون ماريوت يقف أيضاً على قدميه وينظر إلى الأسفل.. إليها. لاحظت أنه يحاول إخفاء دهشته. واعتقدت ليدي أن توترها أصابه بالدهشة، لكنها لم تكترث لما يفكر فيه. فاندفعت تقول بسرعة: «إن لم يسدد والدي خمسين ألف جنيه للمصرف اليوم، فستخسر أسرتنا قصر بيمهارست».

ـ ستخسرون..

منعها الغضب من السماح له بمتابعة كلامه، فتابعت: «قصر بيمهارست هو ملك لأسرتنا منذ أكثر من مئة عام. واليوم، هو آخر يوم يبقى فيه كذلك».

نظر جون إلى وجهها الغاضب ورأى الشرر يتطاير من عينيها الخضراوين فقال بهدوء: «إنك تبالغين، أليس كذلك؟».

انفجرت ليدي قائلة: «أنا أحب بيمهارست! هل يبدو لك أنني أبالغ؟».

ثم حاولت استعادة هدوئها: «صحيح أن والدي استثمر الكثير من المال في شركة أوليفر، لكن لم يخطر في باله أن شركته ستنهار».

بدا وكأن جون قد استوعب الأمور، فقال: «إذن، أخذ والدك قروضاً كبيرة من المصرف ورهن بيمهارست في المقابل. وحين ساءت الأحوال في

شركة أخيك، راح والدك يسدد له ديونه حتى لم يعد يملك أي فلس لتسديد ديونه الخاصة».

سألته: «أنت على علم بهذا؟».

وشعرت أن غضبها بدأ يتزايد لأنه يعرف بأزمة والدها، ورغم ذلك يرفض إعادة المال له. أجابها جون ليهدّىء غضبها قليلاً: «لم أكن على علم بشيء. لكنني استنتجت من كلامك أن الأمور سارت على هذا النحو».

ثم سألها: «وما الذي يفعله أخوك حيال هذا الوضع الآن؟».

لم تكترث ليدي لسؤاله لأنه سيضعف هجومها. لكنها حاولت الدفاع عن أخيها بتقديم عذر له: «أنا لم أر أوليفر. لقد وصلت إلى المنزل يوم الثلاثاء. أوليفر سيتزوج بعد أسبوع، ومن المؤكد أن هناك الكثير من الترتيبات. إنه الآن مع أسرة خطيبته ليساعد في حلّ مشكلات اللحظات الأخيرة. إنهم...».

واختفى صوتها فجأة..

ـ لنأمل أن يكون زواجه ناجحاً أكثر من عمله.

وقبل أن تعلق على ملاحظته تلك تابع: «لا بد أنه سيقيم حفل زفاف كبيراً، أليس كذلك؟».

كانت ليدي قد فكرت في هذا الأمر أيضاً، قبل أن يتفوه بملاحظته؛ إذ يبدو غريباً أن يقام حفل زفاف باهظ التكاليف في حين أصبحت أسرتها معدومة الحال. وبدأت تدرك أكثر فأكثر أن المساعدات المالية التي قدمها والدها لشقيقها زادت حالتهم سوءاً. ووجدت نفسها مجبرة على الاعتراف: «والدا العروس تكفلا بكافة التكاليف».

ثم قالت بسرعة: «أنت مدين لوالدي بالمال، وهو بحاجة إليه الآن ليتمكن من الاحتفاظ بمنزله.. هذا المنزل الذي كان له دائماً والذي لطالما أحبه».

سألها جون بارتياب: «هل مبلغ خمسين ألف جنيه سيضمن له البقاء في المنزل؟».

ـ قام والدي ببيع كل ما أمكنه بيعه ليسدد دينه. كل ما تبقى هو تسديد مبلغ خمسين ألف جنيه للمصرف. وهويعلم، كما يعلم المصرف، أنه لايملك هذا المال ولا يملك أي وسيلة لتأمينه. لقد أعطاه المصرف مهلة حتى اليوم ليجد المال، وهو لم يتمكن من ذلك بعد.

أنهت كلامها وقد بدأ صوتها يتهدج: «وهو الآن في حالة مزرية».

وفجأة، أشاحت بوجهها بعيداً عن جون لأنها علمت أنها قد تبكي في أي لحظة...

سارت إلى النافذة وراحت تنظر من خلالها من دون أن ترى.. ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تجاهد للسيطرة على نفسها.

حين شعرت أنها استعادت السيطرة على نفسها، استدارت إلى الباب، وقد أدركت أنها حاولت سدى أن تدافع عن والدها. كما أدركت أن محاولتها باءت بالفشل. فلو كان لجون ماريوت النيّة في إعادة المال لوالدها، لأعاده منذ زمن بعيد. وما إن سارت خطوة نحو الباب حتى فاجأها صوت جون الذي لم يتحرك من المكان: «من الواضح أنك لم تخبري والدك بمجيئك».

استدارت ليدي إليه ثم مالت برأسها قائلة: «إنه يملك كبرياء عظيمة».

راح جون يتأمل جمالها الذي ينضح بالكبرياء وقال بهدوء: «وكذلك ابنته!».

تمنت لو تستطيع موافقته الرأي. فمجيئها إلى مبنى ماريوت بنفسها لا يدل على عزة نفس، رغم أن المال الذي تطالب به هو حق لأسرتها. ثم طلبت منه ببرودة: «إذا التقيت والدي صدفة، فلا تخبره بمجيئي».

سار جون إلى مكتبه وهو يقول: «لن أخبره، لكنه سيعلم بذلك عل الأرجح».

كانت على استعداد لأن تشنقه في تلك اللحظة. لكنه فتح درجاً في مكتبه ليسحب منه دفتر شيكاته، وسألها: «هل تريدين الشيك باسمك ليدي؟».

سألته: «هل ستدفع؟».

أخذت ليدي ترتجف بقوة، لكنها لم تفكر في رفض عرضه. وحمل قلمه

فتقدمت لتقف في الجهة الأخرى من المكتب وقالت بسرعة قبل أن يغير رأيه: «باسم والدي. . هل يمكنك تحريره باسم والدي، أرجوك؟».

لقد تم لها ما تريد. . ما هي إلا لحظات حتى حرر جون ماريوت الشيك وناوله لليدي. لم تجرؤ ليدي على التنفّس. ماذا لو كانت هذه إحدى ألاعيبه؟ تفحصت الشيك جيداً. لقد حرر الشيك باسم ويلموث بيرسون. . تاريخه صحيح. . وقد مهره بتوقيعه. لكن المبلغ كان مختلفاً؛ حرر جون شيكاً بمبلغ خمسة وخمسين ألف جنيه!

ـ خمسة وخمسون ألف جنيه؟

ـ لا شك أن المصرف سيضيف فوائد على المبلغ الأساسي، وهي تسمى عادة فوائد القرض.

لا بد أنه يقصد فوائد دينه لوالدها! شعرت ليدي بالذهول، ثم بدأت تشعر بالبهجة. كانت على وشك أن تشكره، لكنها نظرت إلى الشيك مجدداً، ولاحظت أنه لم يوقعه باسم الشركة كما ظنت بل باسمه الشخصي. وسألته: «هل هناك ما يكفي في حسابك الشخصي لتغطية هذا الشيك؟».

أجابها قائلاً: «سيكون هناك ما يكفي لتغطيته حين تصلين أنت إلى المصرف».

سألته بتردد: «هل أنت واثق؟».

نظر جون ماريوت إليها مباشرة وقال بهدوء: «ثقي بي ليدي».

شعرت ليدي أن بإمكانها فعلاً أن تثق بكلامه. فقالت له: «شكراً لك».

ومدت يدها لتصافحه، فأجابها: «إلى اللقاء، ليدي».

وبتلك الابتسامة التي لم تتمكن ليدي من نسيانها طيلة السنوات السبع، تابع يقول: «آمل أن نلتقي مجدداً قبل مضي سبع سنوات أخرى».

بادلته ليدي الابتسام، ثم صافحته. ظلت تشعر بقبضته القوية الدافئة، حتى بعد أن خرجت من مبنى ماريوت إلى الطريق العام. وتذكرت عينيه الزرقاوين و. .

حاولت إبعاده عن تفكيرها، وركزت على ما يجب أن تقوم به الآن. فكرت أولاً بالاتصال بوالدتها لتخبرها بنتائج زيارتها، ثم فكرت بالشيك الذي تحمله في حقيبتها. أرادت أن تأخذه إلى والدها لتطمئنه إلى أن كل شيء أصبح على ما يرام. . لتخبره أن جون ماريوت أعاد له المال الذي يدين له به، مع فوائده أيضاً. تذكرت أن جون أخبرها أن المال سيكون في رصيده حين تصل إلى المصرف، فافترضت أن كل ما يحتاج إليه هو إجراء اتصال هاتفي واحد. لذا، فكرت في أن تضع المال في حساب والدها لتخبره بعدئذ بالأمر.

شعرت ليدي بالامتنان لجون، وقررت أن تتوجه إلى المصرف قبل الذهاب إلى المنزل. نعم، إنها أفضل فكرة. لديها الوقت للذهاب إلى المنزل لتعطي الشيك لوالدها، لكنها قد تواجه زحمة سير خانقة في الطريق فتؤخرها. لذا من الأفضل أن تذهب إلى المصرف مباشرة لوضع المال في حساب والدها.

بعد قليل وجدت فرعاً للمصرف حيث حساب والدها، فتمكنت من إيداع الشيك في حسابه المصرفي.

آه، جون! لا تستطيع أن تكرهه بالرغم من تأخره في تسديد دينه لوالدها، مع أن المنطق يدفعها إلى ذلك. في الواقع، لم تتمالك ليدي نفسها عن الابتسام طوال طريق العودة إلى قصر بيمهارست. أصبح المنزل آمناً الآن. فبالرغم من خسارتهم للكثير من الأراضي التي كانوا يملكونها في السابق، إلاّ أنّ المنزل بقي لآل بيرسون. كما لمحت والدتها إلى أن والدها يفكر بالعمل كاستشاري، فهو لن يسمح بأن تذهب سنوات الخبرة التي اكتسبها سدىً.

ركنت ليدي سيارتها أمام المنزل، وهي تشعر بالتفاؤل. دخلت إلى المنزل وهي تكاد ترقص فرحاً لتبحث عن والديها. هل ستمر بقية اليوم على خير أم لا؟ لقد فهمت الآن ما عناه جون ماريوت حين قال لها إن والدها سوف يعلم بأمر المال حتى لو لم يخبره هو. بالطبع سيعلم. . فحين تخبره أن ديونه سددت سيرغب بأن يعلم من أين أتت بالمال. لن يضطر جون لأن يخبره، بل هي ستفعل. يصعب عليها الانتظار كي ترى مقدار فرحه.

فتحت باب الصالة، وإذا بها ترى والديها هناك. وقد بدا والدها نحيلاً، شاحباً. قالت لهما ليدي: «ها أنتما هنا!».

رمقتها والدتها بنظرات مترقبة لكن والدها بادر إلى سؤالها: «كيف حال عمتك أليس؟»

اعترفت ليدي: «في الواقع، لقد كذبت عليك أبي. فأنا لم أذهب لرؤية عمتي أليس»

رمقها والدها بنظرات قاسية وعلق قائلاً: «تبدين راضية عن نفسك بالرغم من كذبك عليّ. وكأنك أديت خدمة للإنسانية بكذبتك».

أجابته قائلة: «ليس بالضبط».

ثم فتحت حقيبتها بسرعة وتناولت إيصال المصرف وتابعت تقول: «ذهبت لرؤية جون ماريوت».

سألها باستغراب: «ذهبت لرؤية.. جون ماريوت؟».

أخذ والدها الايصال منها ثم فتحه وراح يقرأ الكلمات القليلة التي كتبت فيه والتي تعني الكثير. اكفهر وجهه ولم يصدق أن المبلغ أودع في حسابه فهتف قائلاً: «ما هذا؟».

شرحت له ليدي ما بدا أنه يجد صعوبة في فهمه: «لقد سُددت ديونك أبي».

فردد: «سُددت».

اتضح لوالدها من ذلك أنها على علم بأزمته المالية. ولولم تكن ليدي تعرفه جيداً، لاعتقدت أن هذا هدوء ما قبل العاصفة.

ـ كما قلت لك، ذهبت لرؤية جون ماريوت. وقد أعطاني شيكاً بالمبلغ الذي يدين لك به فوضعته في حسابك المصرفي...

وقبل أن تتمكن من إنهاء كلامها. صاح والدها: «ماذا فعلت؟».

حدقت ليدي إلى وجهه بذهول. لم تتخيل أبداً أن تكون ردة فعله بهذا الشكل. فتمتمت بقلق: «أنت بحاجة لهذا المال. وجون ماريوت يدين لك بخمسين ألف جنيه. وقد ذهبت لأطالبه بها، فأضاف عليها خمسة...».

صرخ والدها مجدداً: «ذهبت لرؤية جون ماريوت، لتطلبي منه خمسين ألف جنيه؟ أين كبرياؤك؟».

ـ إنه يدين لك بهذا المبلغ، وهو...

قاطعها والدها بحدة: «لا، إنه لا يدين لي بشيء».

شهقت ليدي: «لا يدين لك؟».

ثم نظرت إلى والدتها التي أخبرتها عكس ذلك، فإذا بها تنظر إلى الستائر خشية أن تلتقي عيونهما. عاد والدها يقول وقد علا صوته: «إنه لا يدين لي بشيء، ولا بأي فلس!».

أجفلت ليدي وهي تدير رأسها لتحدق إلى وجه والدها، الذي لم يسبق له أن رفع صوته في وجهها مطلقاً، وإذا به يسألها بإحباط مفاجيء: «ليدي. ما الذي فعلته؟ لقد سدد لي جون ماريوت كل المال الذي اقترضه مني».

***

٢ ـ لماذا؟

شهقت ليدي قائلة: «لقد سدّد لك المال؟ لكن أمي قالت..».

لم تستطع ليدي إكمال جملتها، اتجهت نظراتها من والدها المجروح إلى والدتها فراحت تحدق إليها بقسوة. هذه المرة تجرأت والدتها على أن تبادلها نظراتها، لكن ويلموث تكلم أولاً فنظر إلى زوجته وسألها بغضب: «ماذا قلت لها؟».

لم يبدُ على والدتها الندم، وردت بعدائية: «كان على أحدنا أن يفعل شيئاً».

ـ لكنك تعلمين أن جون ماريوت سدّد دينه، لقد أعاده في الوقت المحدد تماماً. أخبرتك بذلك.. أذكر بوضوح أنني أخبرتك...

قاطعته ليدي بذعر: «أمي! كنت تعلمين؟ ورغم ذلك أقنعتني بالذهاب إليه لمطالبته بذلك المال؟».

لم تكترث والدتها بل قالت متمادية في غطرستها: «من الأفضل أن ندين بالمال لجون ماريوت على أن ندين به للمصرف. إنها على الأقل، وسيلة للاحتفاظ بالمنزل».

تدخل ويلموث بتثاقل: «لا تكوني واثقة من ذلك».

ظهر الاضطراب على والديها لعدة دقائق. واقترح ويلموث أن يبيع المنزل ليسدد المال لجون ماريوت، لكن والدتها هددته قائلة إنه إذا فعل ذلك فسوف تتركه وتذهب للعيش بعيداً عنه، لذا عليه أن يحتفظ بالقصر ليورثه في المستقبل لأوليفر. شعرت ليدي بالألم لسماع هذا الشجار بين والديها. ثم التفت

ويلموث إليها بإحباط، وصب جام غضبه عليها: «جون بنفسه أعطاك هذا الشيك. هكذا، بهذه السهولة؟ أخبرته أنك تريدين استرداد القرض فدفع لك من دون أي تذمر؟».

أجابت: «لقد.. لقد قال إنه لم ينس أبداً كيف ساعدته في ذلك الوقت، وهو ممتن لك على ما أعتقد».

ـ إذن، أعطاك خمسة وخمسين ألف جنيه عرفاناً للجميل، من دون أن يقول لك إنه سبق وسدد لي المبلغ؟ كيف تظنين أنني سأتمكن من إعادة هذا المبلغ إليه الآن؟

ثم انفجر غاضباً قائلاً بلهجة عصبية: «لِمَ لم تحضري الشيك لي أولاً؟ لِمَ قمت بدفعه إلى المصرف مباشرة من دون استشارتي؟».

فكرت ليدي في أنها كانت لتحضر الشيك لوالدها أولاً لو لم يضع جون ماريوت في رأسها فكرة تسديد دين المصرف على الفور. وفجأة، بدأت تشعر بأنه تم التلاعب بها واستغلالها، بطريقة أو بأخرى. في البداية والدتها ومن ثم جون ماريوت نفسه.

قطع عليها والدها حبل أفكارها: «حسناً؟».

أجابته بضعف: «بدا لي ذلك الوسيلة الفضلى لحل المسألة. حتى إنني خشيت أن أتأخر بسبب زحمة السير، فأنا أعرف أن المصرف يريد المال اليوم».

فقال والدها بقلق: «وقد حصل عليه.. ومن المؤكد أن المصرف لن يتخلى عن المال مجدداً».

تنهد بصعوبة: «من الأفضل أن أذهب لمقابلة جون».

وأدركت ليدي أن عليها القيام بذلك، فقالت على الفور: «أنا من سيذهب».

لكن والدها أجابها ثائراً: «أنت قمت بما فيه الكفاية! يمكنك أن تبقي هنا مع والدتك لتحلما معاً بخطتكما التالية».

شعرت ليدي أن تعليقه غير منصف، لكنها فهمت أن كبرياءه مجروحة. فناشدته قائلة: «أرجوك، دعني أذهب».

تأفف والدها للحظات، فأضافت ليدي بسرعة: «لست الوحيد الذي يشعر بجرح في كبريائه هنا».

نظر إلى ابنته، تلك الابنة التي حاولت التصرف بشكل طبيعي كاتمة مشاعرها وحزنها لئلا تسبب له المزيد من الألم. أجابها بنبرة هادئة مألوفة لديها: «لم تكن الأمور سهلة بالنسبة إليك أيضاً، أليس كذلك؟».

ثم تابع بلين ولو على مضض: «سنذهب معاً، إذن».

لم يكن هذا ما أرادته ليدي إلا أنها قالت: «سأذهب لاتصل به».

ـ ألا تريدين الذهاب لرؤيته؟

ـ أظن أن عليّ أن آخذ موعداً منه أولاً.

اقترح ويلموث: «فلتتصل به من مكتبي».

أما زوجته، فلم يبدُ عليها الاكتراث بعد أن اطمأنت الآن إلى أن منزلها أصبح آمناً. ألقى ويلموث نظرة باردة على زوجته قبل أن يتوجه من الصالة إلى مكتبه برفقة ليدي.

شعرت ليدي بالسرور لأن والدها سمح لها بأن تقوم بالاتصال ولم يصر على الاتصال بنفسه بجون. لكن اضطرابها عاد إليها فوراً ما إن بدأت بطلب رقم هاتف الكترو ماريوت.

ومرة أخرى، حين طلبت التحدث إلى السيد جون ماريوت، تم تحويلها إلى مكتب مساعدته الشخصية.

ـ مرحباً. أنا ليدي بيرسون..

وقبل أن تكمل ليدي كلامها، أجابت مساعدته بلطف: «مرحباً. فاتتني رؤيتك هذا الصباح. السيد ماريوت لديه اجتماع الآن. هل تودين ترك رسالة له؟».

شعرت ليدي بالصدمة لسماعها ذلك، فقالت: «أود رؤيته لبعض الوقت، بعد ظهر هذا اليوم إذا أمكن».

ـ إنه مسافر إلى باريس الليلة، ولكن..

شعرت ليدي بما يشبه الغيرة لمجرد التفكير في أنه سيقضي عطلة الأسبوع

في باريس. يا للسخافة! وقالت بلطف: «سأتصل به في الأسبوع القادم. الموضوع ليس مهماً».

ثم تمنت للمرأة نهاراً سعيداً وودعتها. استدارت لتنقل المحادثة إلى والدها الذي كان بانتظارها، وأضافت بهدوء: «حاول ألاّ تقلق أبي، وألاّ تكون قاسياً على أمي. كل ما أرادته هو تقديم المساعدة».

قالت ذلك بالرغم من سخطها على أمها وغضبها منها، لكنها أرادت أن تلطف الأجواء بين والديها.

بدا ويلموث ويلسون وكأن لديه الكثير ليقوله لكنه اكتفى بأن قال بلطف: «أعلم ذلك».

ساد المنزل جو من عدم الارتياح لبقية ذلك النهار. إلا أن ليدي قامت بنزهة سيراً على الأقدام ما أراحها كثيراً. لكن أذنيها كانتا تغدوان قرمزيتي اللون كلما تذكرت الطريقة التي وصلت فيها إلى مكتب جون ماريوت وكيف طالبته بخمسين ألف جنيه.

آه، يا إلهي! لكن، لِمَ أعطاها هذا المال؟ كما أنه حرص على أن يصل الشيك إلى المصرف ولا يعود إليه مع عبارة شكر مهذبة من والدها.

تابعت ليدي المشي علّه يخفف من انفعالاتها. مع وجود المال في المصرف يمكن لوالدها أن يرتاح قليلاً من همومه، وهو بحاجة كبيرة إلى هذه الاستراحة. في المقابل، بما أنها هي من طلب المال وأخذه، بغض النظر عما فعلته به، بدأت تدرك أن هذا الدين هو دينها وليس دين والدها، ما جعلها تشعر بالسوء. وكل ما تمكنت من القيام به هو التساؤل من أين ستأتي بخمسة وخمسين ألف جنيه لتسددها له.

لازمها هذا السؤال طوال نزهتها. وحين عادت إلى المنزل كانت قد أدركت أنها لو جمعت ثمن سيارتها مع ثمن المجوهرات التي أهداها إياها والداها في عيد ميلادها الحادي والعشرين، بالإضافة إلى الثروة الصغيرة التي ورثتها عن جدتها، إذا ما تمكنت من الحصول عليها الآن فلن يزيد المبلغ عن عشرة الآف جنيه. هذا إذا كانت محظوظة.

أوت إلى السرير تلك الليلة وهي تعلم أنه حين قال إنهما سيلتقيان مجدداً لم يكن يجاملها. فقد علم أنها ستعاود الاتصال به وتحاول رؤيته مجدداً، ما إن تكتشف أنه سدد دينه لوالدها منذ زمن بعيد.

ظلت ليدي مستيقظة طوال الليل، فيما صورة جون ماريوت تحتل جزءاً كبيراً من أفكارها فتحرمها من النوم. ياله من رجل وسيم!

عندما نزلت لتناول الفطور صباح يوم السبت، لم تكن الأجواء في المنزل أفضل مما كانت عليه بالأمس. لم يتبادل أفراد الأسرة طيلة اليوم، سوى كلمات قليلة.

ـ سأذهب لرؤية العمة أليس.

وأضافت بعد أن رمقها والدها بنظرة حادة: «هذه المرة، صدقاً».

قالت أمها بلهجة متذمرة: «ما دمت ستذهبين فاسأليها عما تنوي أن ارتداءه لحفل الزفاف يوم السبت القادم. إذ لا أستبعد أن تحضر مرتدية تلك القبعة وتلك الجزمة الطويلة الساقين اللتين تستخدمهما حين تعمل في الحديقة».

شعرت ليدي بالسرور لأنها غادرت المنزل، فقادت سيارتها إلى بنلاي كوربت، قاصدة ذلك المنزل شبه المنعزل الذي استأجرته عمة والدتها.

شعرت بالقلق ما إن رأت عمتها العجوز وقد فقدت الكثير من حيويتها وتألقها. وبالرغم من ذلك لوحت لها العجوز وهي تهتف فرحة: «أهلاً.. أهلاً بك! لم أتوقع أن أراك قبل الأسبوع القادم».

بعد ربع ساعة كانت المرأتان تشربان القهوة، وشعرت ليدي بالقلق لرؤية الشحوب الذي يعلو وجه عمتها، فسألتها: «ألا تزورين الطبيب من حين إلى آخر؟».

ـ تعنين الطبيبة ستوك؟ غالباً ما تزورني.

سألتها ليدي بقلق: «لماذا؟».

ـ ما من سبب محدد. إنها تحب حلوى الشوكولا التي أعدها.

أخفت ليدي رغبتها بمعرفة المزيد عن الموضوع. فالعمة أليس لا تحب

أبداً التحدّث عن مرضها مع الآخرين. سألتها بتردد: «هل تتناولين أدوية ما؟».

فردت أليس: «هل تعرفين أشخاصاً تجاوزوا الثمانين من العمر ولا يتناولون الأدوية؟ أخبريني، كيف حال أمك؟ هل تقبلت فكرة أن العزيز أوليفر سوف يتزوج؟».

ـ أنت عجوز شريرة.

أطلقت أليس ضحكة خافتة وهي تقول: «الصالحون يموتون في سن مبكرة».

ثم أخذت ليدي في جولة في حديقتها. أمضت ليدي بعض الوقت في زيارة عمتها ثم أخبرتها أنها تريد العودة إلى بيمهارست، واقترحت عليها: «تعالي معي إلى بيمهارست. يمكنك البقاء هناك حتى موعد الزفاف و..».

وأدركت أن أمها قد تقتلها إذا سمعت اقتراحها هذا.

رفضت أليس دعوتها بحزم: «لدي أعمال كثيرة أنجزها هنا».

ـ أنت لا..

لم تكمل ليدي جملتها واكتفت بالقول: «تبدين شاحبة قليلاً عمتي، هل أنت بخير؟».

ـ في سني هذه.. بدأت أشعر بالإرهاق، بالطبع.

وفيما رافقتها عمتها إلى السيارة قالت: «سآتي نهار السبت المقبل في وقت مبكر لاصطحابك».

أجابتها أليس: «طمئني والدتك بأنني سأترك قفازي العمل هنا».

ضحكت ليدي: «لقد قلت لك إنك شريرة».

أكثر ما يقلقها ويشعرها باليأس هو الطريقة التي ستتمكن بها من الحصول على خمسة وخمسين ألف جنيه لتدفعها لجون ماريوت.

ما إن وصلت إلى المنزل حتى قالت لأمها: «عمتي لا تبدو بصحة جيدة».

ـ مما تشكو؟

ـ لم تصارحني بالأمر. ولكن..

قالت هيلاري بيرسون بازدراء: «تفضل التظاهر بالكمال، كعادتها».

ثم تابعت: «اتصل بك رجل يدعى تشارلز هيليار».

ـ تشارلي هو شقيق دونا. هل أخبرك عن سبب اتصاله؟

ـ قلت له إنك سوف تتصلين به لاحقاً.

مسكين تشارلي فهو خجول كما كان حالها من قبل. لكنها والحمد لله تخلصت من خجلها منذ وقت طويل أما تشارلي فلم يفعل بعد. صعدت ليدي إلى غرفتها وطلبت رقم هاتفه.

قالت معتذرة: «آسفة، كنت خارج المنزل عندما اتصلت بي».

سألها بلهجة متوترة: «هل اتصلت بأمك في وقت غير مناسب؟».

حاولت ليدي أن تبرر تصرف والدتها، إذ يبدو أنها كانت قاسية مع تشارلي، ولا بد أنه تلعثم في الكلام معها، فقالت: «إنها منشغلة قليلاً. سيتزوج أخي يوم السبت المقبل».

ـ حقاً؟

وأضاف: «أتصور أنك تساعدين في تحضيرات الزفاف. لكن إن لم تكوني منشغلة هذا المساء، فقد حصلت على تذكرتين لحضور مسرحية. كما أن بإمكاننا تناول العشاء معاً».

وأكمل بتردد: «لكن.. على الأرجح لديك مخططات أخرى».

لكن ليدي قبلت الدعوة: «بل أود الذهاب معك إلى المسرح. هل يزعجك أن أبيت عندكم؟».

ردّ تشارلي بفرح: «سيكون سريرك جاهزاً».

أدركت ليدي أن قسمات وجهه أشرقت بابتهاج لردها. بعد قليل أخبرت أمها أنها ستذهب لحضور مسرحية مع تشارلي هليار، وأنها لن تعود قبل صباح اليوم التالي.

أمسكت بها والدتها تهزها متهمة: «أنت على علاقة به؟».

ـ أمي! تشارلي مجرد صديق. إنه بمثابة أخ لي، ليس إلاّ.

صعدت إلى غرفتها لتحضر بعض الأغراض التي قد تحتاجها. لقد تخطى

تشارلي خجله في إحدى المرات وقام بمعانقتها. لكنه اعترف لها في ما بعد، بأنه عانقها لأنه شعر أن عليه القيام بذلك وليس لأي سبب آخر.

المسرحية التي اصطحبها تشارلي لمشاهدتها تدور حول علاقة حب رومنسية مسلية. وفي فترة الاستراحة سألها تشارلي: «هل تودين تناول مشروب ما؟».

وافقت قائلة: «عصير الليمون سيكون جيداً».

وشقا طريقهما بين الجموع المتوجهة إلى غرفة الاستراحة. وحين وصلا أخيراً، قررت ليدي أن تنتظر جانباً إلى أن يحضر تشارلي العصير. وبعد أن خطت خطوتين شعرت بالصدمة، إذ وجدت نفسها تنظر مباشرة إلى وجه جون ماريوت، ما جعل قلبها يقفز من مكانه. تجمد في مكانه ما إن رآها، وشعرت ليدي أن عينيه الزرقاوين تشعان ببريق من الألوان. دهشت ليدي لرؤيته بصورة غير متوقعة، فخرجت الكلمات من فمها قبل أن تتمكن من إيقافها: «ظننتك في باريس!».

أجابها بهدوء: «لقد عدت».

قالت بتوتر: «أنا بحاجة للتحدث إليك».

علمت ليدي أن لا فرصة لديها للتحدث معه عن الأعمال فيما هما يقفان هناك. وفجأة، التمعت في عينيه نظرة شيطانية، وقال متشدقاً: «يوم الاثنين في الوقت والمكان نفسيهما».

وسار كل منهما في سبيله.

شعرت ليدي بالاضطراب والتوتر. ثم أحست بالسرور عندما عاد تشارلي حاملاً العصير، إلا أنها ما لبثت أن شعرت بالسوء من جديد عندما فكرت أن الأجدر بها أن تجد سبيلاً لإعادة المال إليه. وغاص قلبها حتى الأعماق.. كيف؟ ومع هذا السؤال الذي لم تجد له جواباً، أجالت بصرها بسرعة من حولها.. تسمرت نظراتها ما إن لمحت جون، الذي راح ينظر إلى ظهر مرافقها القوي البنية ذي الشعر الداكن. تحوّلت نظراتها من جون إلى الشقراء المذهلة الرائعة التي ترافقه. وإذا بقلبها يغوص في أعماقها أكثر فأكثر!

لم تشأ أن يلاحظ جون أنها تنظر ناحيته، فسلخت نظراتها عن الشقراء البالغة الأناقة، وسألت تشارلي: «كيف تسير الأعمال؟».

فأجابها وقد علا الاحمرار وجهه: «ثمة موظفة جديدة في المكتب.. بدأت العمل منذ أسبوعين».

فقالت ليدي تغيظه: «تشارلي هليار! يبدو أنك متيم بها».

وابتسمت له برقة، فضحك تشارلي مدركاً أنها ليست مخطئة في ظنها: «حسناً! إنها شابة لطيفة».

ـ هل ستطلب منها الخروج معك؟

بدا مرتعباً: «كلا! فأنا بالكاد أعرفها».

تناولت العشاء مع تشارلي في وقت متأخر ثم خلدت إلى النوم. وفي الصباح، انطلقت ليدي بسيارتها عائدة إلى قصر بيمهارست. خلال الرحلة، ساورتها أفكار مقلقة عن والديها، وعمتها و.. ذلك الرجل الذي التقته في المسرح والذي بدا مستمتعاً برفقة شقرائه الرائعة الجمال. أتراه اصطحبها معه إلى باريس؟

استيقظت صباح يوم الاثنين وهي تشعر بالقلق الشديد. وحين نزلت في وقت مبكر لتناول الفطور، سألها والدها: «ألم تتمكني من النوم؟».

لم تجد ما تقوله، إذ بدا أنه لم ينم مطلقاً هو أيضاً! نظرت إلى وجهه الذي بدا لها غريباً، وعرفت أنه يجدر بها إخباره عن لقائها بجون ماريوت، لكنها لم تفعل. وقالت: «إن كانت أمي تريد أن تبدو العمة أليس جميلة يوم الزفاف، فعليّ أنا أيضا أن أشتري ثوباً جديداً لائقاً للمناسبة».

ثم تابعت بسرعة: «وخلال اليوم الذي سأمضيه في لندن، قد اتصل بجون ماريوت لأحدد لنا موعداً معه. كان خارج البلاد في نهاية الأسبوع، ولا بدّ أن لديه الكثير من الأعمال العالقة. لذا سيكون منشغلاً ولاأظنه سيتمكن من مقابلتنا اليوم».

ها هي تكذب مجدداً! لكنها شعرت أن لقاءها بجون ماريوت هو مسألة عليها القيام بمفردها. لم ينخدع والدها بسهولة: «كيف استطعت أخذ موعد

منه يوم الجمعة الماضي؟ ألم تكن لديه أشغال متراكمة أيضاً؟ فقد كان مسافراً».

ـ يوم الجمعة، كنت أظن أنه يدين لك بالمال. لم أتعب نفسي بأخذ موعد، بل قمت باقتحام مكتبه».

بدت الدهشة على وجه والدها وشرع يقول: «أنت..».

قاطعته ليدي: «أرجوك أبي.. أعرف أنني أرتكبت خطأ. لذا أشعر أن عليّ أن أتصرف بشكل صحيح هذه المرة».

ـ يمكنني الاتصال به من هنا، و..

ـ أعلم أنني سببت لك الإحراج بالذهاب لرؤيته. لكن، أرجوك افهمني.. عليّ أن أتحمّل المسؤولية بنفسي. لا يمكنني السماح لك بالتصرف بدلاً مني.

تأفف والدها وغمغم بضع كلمات حول رغبته برؤية جون ماريوت في أسرع وقت ممكن، لكنه مع ذلك وافق على أن تحدد هي الموعد.

حين دخلت ليدي مبنى شركة الكترو ماريوت، وتوجهت إلى المكاتب الرئيسية، بدأت تتمنى لو أن والدها جاء برفقتها. استقلت المصعد نفسه كما في المرة السابقة، وتوجهت إلى الممر نفسه ثم استدارت عند الزاوية للوصول إلى مكتب جون. لم تكن لديها أي فكرة عما ستقوله لهذا الرجل.

توقفت قليلاً أمام باب المكتب، وأخذت نفساً عميقاً. عرفت أنها وصلت باكراً، لكنها رفعت ذقنها بشموخ وأدارت الباب لتدخل فيما راح قلبها يدق بقوة. لم يكن جون ماريوت وحيداً، بل كان يعطي بعض التعليمات للمرأة التي رأتها ليدي تخرج من المصعد يوم الجمعة الماضي. نظر إليها ووقف ليسلم عليها قائلاً: «ليدي».

واستدار نحو مساعدته ليعرفهما ببعضهما البعض، فعلّقت ألين وقد علت وجهها ابتسامة: «سبق أن تحدثنا على الهاتف».

بدا واضحاً أنها على علم بهذا الموعد، حتى وإن وصلت ليدي مبكرة. حملت ألين أوراقها وقالت: «سأعود لاحقاً».

ثم خرجت متوجهة إلى مكتبها مقفلة الباب ورائها.

سألها جون: «هل أعجبتك المسرحية؟».

سؤاله المفاجىء أجبر ليدي على تغيير مخططها الهجومي. أجابته وهي تكاد لا تذكر موضوع المسرحية: «نعم. كثيراً».

دعاها للجلوس: «تفضلي، أجلسي. هل ذلك الشاب حبيبك؟».

أجابته ليدي: «آه.. ماذا؟ لا! أنا أراه في بعض الأحيان فقط».

تساءلت ما علاقة سؤاله هذا بالموضوع. رغم أنها كانت ترغب في سؤاله أيضاً إن كانت تلك الشقراء حبيبته. جلست في المقعد الذي أشار إليه، وفتحت فمها مستعدة لبدء الحديث الهام بينهما، إلا أنه سألها: «أتريدين قهوة؟».

وعندئذ عرفت ليدي أنها ليست الشخص الذي سيقوم بتوجيه الحديث حسب رغبته.. إنه يحاول التحكم بها!

ـ لا، شكراً.

بدت لهجتها أقل لباقة مما تتطلبه الظروف الحالية، ثم تابعت: «حين أتيت يوم الجمعة، كنت أعتقد أنك لم تسدد القرض لوالدي. لقد..».

عاد جون ليجلس خلف مكتبه، وراح يراقبها ثم أجابها: «هذا ما اعتقدته».

فردت قائلة: «كان عليك أن تخبرني، فأنت تعلم جيداً أنك سددت القرض».

ابتسم لها باحتيال قائلاً: «كنت أعلم أنك ستلقين اللوم عليّ».

راحت تتصاعد في داخلها مشاعر الذنب والإحراج وغيرها من المشاعر التي اختبرتها ليدي منذ رؤيته يوم الجمعة الماضي. فأجابته قائلة: «إن اللوم يقع عليك فعلاً».

تابعت تتهمه بحدة: «لقد حمّلتني عبئاً بإعطائك المال لي».

اختفت الابتسامة عن وجهه فجأة. ولاحظت ليدي أنه لم يبال للهجتها بل قال متحدياً: «أنا من حمّلك عبئاً؟ إن ذاكرتي جيدة في العادة. لكن إذا كنت مخطئاً فصححي لي. هل أنا من طلب منك المجيء إلى هنا للمطالبة بالمال بإلحاح؟».

تراجع غضب ليدي بسرعة واضطرت لأن تقول بهدوء: «لقد وثقت بك. جعلتني أقتنع بضرورة وضع المال في المصرف مباشرة».

لم يبدُ عليه الاقتناع بما قالته، فراح يتأملها من رأسها حتى قدميها ثم سألها بقسوة: «هل كنت تفضلين لو لم أعطك الشيك؟ هل تفضلين أن يبقى والدك مديناً للمصرف؟».

شحب وجهها، وقد اتضح لها أن جون ماريوت هو أكثر ذكاءً مما تصورت.

سألته ليدي: «لِمَ أعطيتني المال؟ ولِمَ أردت أن تتأكد من وصول الشيك إلى المصرف قبل أن يعلم والدي بالأمر؟».

هزّ جون كتفيه وقال: «منذ سبع سنوات، وضع والدك ثقته بي، ومنحني كرمه فرصة للنجاح. ومما أخبرني به يوم الجمعة، علمت أنه لن يقبل بالمساعدة من دون أن يمتلك وسيلة تمكنه من إعادة المبلغ الذي سأعطيه لك».

إنه محق! تنهدت ليدي، وشعرت فجأة بخيبة أمل: «يريد والدي أن يراك في أقرب وقت ممكن. وأنا قلت له إنني سآخذ اليوم موعداً لنا معاً كي نأتي لمقابلتك».

راقبها جون بكآبة: «هل كذبت عليه؟».

ـ لست فخورة بتصرفي هذا.

هزّ جون برأسه: «يمكنني فهم أسبابك. من الواضح أن شخصاً ما.. أمك أو أخاك قد وضع أفكاراً خاطئة في رأسك لكي تأتي. لكن، لماذا كذبت على والدك بشأن هذه الزيارة؟».

ـ لأن.. لأنه يعيش في حالة من القلق منذ فترة طويلة. وقد حان الوقت ليحمل شخص من الأسرة هذا العبء عنه.

ـ وأنت هو هذا الشخص؟

ـ أنا من طلب منك المال. وأنا من.. آه.. اقترضه، وليس هو. إنه دَيْني أنا.

حدّق جون إليها للحظات طويلة. وأخيراً سألها: «دينك أنت؟».

ـ والدي لم يطلب منك المال، ولم يكن ليفعل. فهو لن يقوم بذلك وهو يعرف أنه لا يملك وسيلة لتسديده لاحقاً.

توقفت عن الكلام، ونظرت إلى عينيه الزرقاوين الرائعتين اللتين بدا فيهما الاهتمام وليس الانزعاج. ثم تابعت: «نعم، إنه ديني أنا. وقد أتيت اليوم..».

وبدأت نبرة صوتها تخفت: «كي.. كي أحاول عقد اتفاق معك لتسديد الدين».

فوجىء جون بكلامها وسألها بلطف: «وهل تملكين المال؟».

ابتلعت ليدي ريقها.. لو أنها تملك المال، لما طلبته منه أصلاً.

ـ أنوي بيع سيارتي ومجوهراتي، كما أنني أملك ميراثاً صغيراً، سأحصل عليه بعد سنتين. لكنني سأحاول الحصول عليه الآن.. وغير ذلك ليس لدي سوى ما أكسبه من عملي.

سألها جون: «أنت تعملين؟».

تمكنت من الحفاظ على رباطة جأشها وأجابته باختصار: «أنا أنقل مكان عملي في هذه الفترة. كنت سأترك العمل هذا الأسبوع في مطلق الأحوال، لكنني تركته مبكراً بعد أن تلقيت اتصالاً من والدتي يوم الثلاثاء الماضي..».

قطعت ليدي جملتها وقد أرادت أن تتأوه بصوت مرتفع.. جون ماريوت رجل ذكي، ومن المؤكد أنه سيفهم مما قالته أن والدتها هي التي أخبرتها أنه لم يقم بتسديد القرض لوالدها بعد. لكن جون لم يعلق على الموضوع بل سألها: «ما نوع العمل الذي تقومين به؟».

ـ أنا أعمل مربية. أهتم بشؤون الأطفال.

ـ وهل تستمتعين بعملك؟

ـ كثيراً. ما إن ينتهي زفاف أوليفر حتى أبحث عن مكان عمل آخر.

ـ في المجال نفسه؟

أجابته بصوت واهن: «في الواقع.. أقصد أنني أجني مكسباً لا بأس به من عملي».

ومن جديد ابتسم لها ابتسامة لم تعجبها أبداً ثم قال: «لكن، لا أظنني أرغب بالانتظار ثلاثين عاماً كي تقومي بجمع هذا المبلغ».

قاطعته بشراسة، وعيناها الخضراوان الجميلتان تقدحان شرراً: «لايمكنك تحميل والدي عبء هذا الدين».

حدق إليها جون للحظات من دون أن يبتسم، وقال: «أنا لا أنوي القيام بذلك».

ـ أترضى إذن بأن تعتبر هذا الدين ديني أنا وحدي؟

ـ وهل تنوين حقاً تحمّل الدين بمفردك؟

وحين فكرت بوالدها المسكين، بوجهه الواهن وكتفيه المحنيتين بسبب القلق، اتخذت قرارها فوراً: «نعم، أودّ ذلك. سوف أقوم ببعض الترتيبات..».

ـ هل لديك خطة ما؟

اعترفت قائلة: «لا، ولكن..».

نصحها جون قائلاً: «لا تبيعي سيارتك ومجوهراتك».

أسند رأسه إلى الوراء يراقبها، وكأنه معجب بما يراه ثم قال: «سأفكر بحل ما».

جاء دورها الآن لتحدق إليه وسألته بحماسة: «ستفكر بحل ما؟».

رمقها جون بنظرة لطيفة: «اتركي الأمر لي».

تترك الأمر له؟ بدت لها الأمور غامضة! لقد أمضت عطلة الأسبوع وهي تفكر بقلق شديد بهذه المسألة. إنها تريد الوصول إلى حل الآن.

ـ ألا تملك فكرة ما الآن؟

ـ أحتاج إلى التفكير في الأمر لبعض الوقت.

كلما أسرعا بإيجاد الحل، كلما تمكنت من وضع مشاريع مستقبلية لها. ربما تجد عملاً إضافياً في أوقات الفراغ..

ـ ومتى ستعلمني بما توصلت إليه؟ إن أمكنك أن تخبرني هذا الأسبوع، فسوف..

قاطعها جون بلطف: «دعيني أرى. اليوم هو الإثنين.. ربما أحصل على فكرة ما نهار السبت».

سألته بإلحاح: «ستخبرني نهار السبت؟».

ثم تذكرت أمراً وقالت بأسى: «زفاف أوليفر!».

بدت على وجهه تلك الابتسامة التي لم تشعرها بالارتياح أبداً، ثم قال لها: «إذن، سأراك هناك».

ـ ستذهب إلى.. هل أنت من المدعوين؟

أجابها ببرودة: «حتى الآن، لا. لكنني واثق من أنك ستقومين بتصحيح ذلك الخطأ غير المقصود».

حدقت ليدي إليه غير مصدقة. لِمَ يود الذهاب إلى الزفاف؟ ثم سألته مشككة: «تريد الذهاب إلى حفل الزفاف؟ لِمَ قد تود الحضور؟».

أجابها من دون إجفال: «أنا أحب مناسبات الزفاف، طالما لست أنا العريس».

نظرت ليدي إليه بعدائية. لِمَ يريد حضور زفاف أخيها؟ فكرت بوالدها الحبيب ومعاناته الخاصة، ثم قالت وقد اتسعت عيناها: «ألن تقوم بإحراج والدي؟».

اختفت ابتسامة جون وقال لها بحزم: «أنا أكن كل الاحترام لوالدك».

فكرت ليدي أن بإمكانها الوثوق به، لكنها اقترحت: «من الأفضل أن أوقّع تعهداً يؤكد أنني المسؤولة الوحيدة عن هذا الدين».

اختفت القسوة عن قسمات جون، وقال لها بهدوء: «أنا واثق بك ليدي».

فقالت له بفظاظة: «أنا أفعل ذلك من أجلي وليس من أجلك!».

نظر إليها مجدداً وقد عادت العدائية إلى وجهه، ثم قال ببرودة: «أنت لا تثقين بي؟ أتظنين أنني سأنسى كل ما قلناه وأقوم بإرسال جابي الديون لملاحقة والدك؟».

رفضت بعناد التراجع عما قالته. وبصمت، حدقت عيناها الخضراوان العنيدتان إلى عينيه الزرقاوين الباردتين، ثم فتح جون ماريوت أحد الأدراج وأخذ منه ورقة بيضاء. وضع الورقة أمامها من دون أن ينبس ببنت شفة، ثم تناول قلمه وأعطاها إياه.

أخذت منه القلم، وبعد لحظات من التفكير كتبت:

«أنا، ليدي بيرسون، أوافق على أن القرض الذي أخذته من جون ماريوت، وهو بقيمة خمسة وخمسين ألف جنيه، والذي وضع في حساب ويلموث بيرسون، هو ديني أنا فقط».

وقبل أن توقع الوثيقة، أدارت الورقة إلى جهته باحترام كي يقرأ ما كتبته.

لم يلزمه وقت طويل ليفعل هذا. لكن، حين أخذت ليدي الورقة كي توقع عليها، أخذ القلم منها وأضاف بضع كلمات إلى الوثيقة. ومن ثم، وكما فعلت هي، أدار الورقة إلى جهتها لترى ما كتبه، فقرأت ليدي: «وهذا المبلغ يسدد حسب تعليمات وخيارات جون ماريوت».

لم تكن ليدي واثقة مما توصلت إليه بهذا الاتفاق. لكنها شعرت أن ليس من حقها الآن التدقيق بكل كلمة، بعد أن أصرت بنفسها على كتابة الوثيقة.

ومن دون أن تنظر إليه، أخذت القلم منه ووقعت اسمها في أسفل الصفحة ثم كتبت التاريخ. ناولته بعد ذلك الورقة والقلم معاً، وراقبته وهو يعيد القلم إلى مكانه ويستعد للوقوف. سألها: «أظنك تريدين نسخة لك، أليس كذلك؟».

وقفت ليدي بكبرياء وأجابته باختصار: «أرجو ذلك».

ابتسم جون تلك الابتسامة التي بدأت تكرهها، وقال: «سأنتظر يوم السبت بفارغ الصبر».

يفترض بها أن تشعر بالفرح لذلك. ستراه يوم السبت...

والآن ما هي الخدعة التي ستستخدمها لتتمكن من إرسال دعوة له؟ وما هي الأعذار التي ستجدها لتقنع والديها بضرورة وجوده في حفل الزفاف؟ وما هي الأكاذيب التي ستخبرها لوالدها؟

٣ ـ ستكون أنت . . حبيبي !

راحت ليدي تفكر وتفكر طوال رحلة عودتها إلى المنزل. لكن عند وصولها إلى قصر بيمهارست لم تكن قد عرفت بعد ما الذي ستقوله لوالدها.

كانت والدتها أول شخص قابلته ليدي لدى وصولها. وللأسف. . بدا أن والدتها لم تحب جون ماريوت حين تكلمت عنه في السابق. علمت ليدي أنها ستسألها بعض الأسئلة اللاذعة حين تخبرها أنها تريد دعوته إلى زفاف أوليفر. لكنها رأت ابتسامة تعلو وجه والدتها وهي تخبرها: «عاد أوليفر إلى المنزل».

عاد أوليفر. . إذن لقد حلت مشاكل العالم كلها!

ـ هل تركت مشترياتك في السيارة؟ قال والدك إنك ذهبت إلى لندن. . . مشتريات؟

ـ آه، لم يعجبني شيء مما رأيت.

نظرت أمها نحوها بارتياب: «لا شيء في كل أنحاء لندن؟».

بدأت ليدي تقول من دون ارتياح: «أنت تعلمين كيف تسير الأمور. .».

لكن خروج والدها من مكتبه أنقذها من متابعة التوضيح.

قالت هيلاري بيرسون: «سأذهب لرؤية السيدة روس من أجل العشاء».

علمت ليدي أنّ الطبق الذي أعدّ للعشاء سيستبدل بطبق يحبه أوليفر. في الأوقات العادية كانت لتتبادل بعض الابتسامات الساخرة مع والدها، لكن هذا الوقت ليس عادياً، فلم يبتسم أي منهما. وفيما ذهبت أمها لرؤية مدبرة المنزل، فتح والدها باب مكتبه، وأومأ إليها لتنضمّ إليه.

وحالما أصبحا داخل المكتب أغلق الباب وسألها على الفور: «متى سنرى جون؟».

أجابته ليدي: «لن نفعل».

لكنها أضافت بسرعة بعد أن رأت انعقاد حاجبيه: «لكنني كنت محظوظة بمقابلته اليوم».

ـ لقد. .

ـ تمكن من تخصيص بضع دقائق لي في نهاره المليء بالأعمال.

ـ هل أخبرته أنني أريد مقابلته؟

ـ بالطبع.

شعرت بالسرور لأنها لم تضطر للكذب في هذا.

ـ إذن، لقد قمت بتحديد موعد لي. . ؟

ـ حسناً، ليس بالضبط. قال جون إنّ عليك ألاّ تقلق.

نظر إليها بارتياب: «عليّ ألاّ أقلق؟».

سارعت ليدي إلى القول: «قال إن بإمكانك أن تنسى أمر المال».

إنها كذبة جديدة!

ردد قولها: «أنسى؟».

بدا بوضوح أن كبرياءه قد مُسّت وقال بنبرة عنيفة: «لن أنسى أبداً».

قالت يائسة: «أبي. أرجوك لا. .».

هدأ والدها حين سمع نبرة صوتها اليائسة وبدأ يقول: «ماذا؟».

حاولت التملص من الموضوع. وبعد صراع داخلي عنيف قالت: «إن ذلك. . صعب».

ـ ماذا هنالك؟ أنا أدين لجون ماريوت بمبلغ من المال، وعليّ أن أراه لمناقشة الأمر معه. ما الصعوبة في ذلك؟

ـ هذا هو الجزء الصعب. أنا. . لا أريدك أن تراه!

لطالما كان ويلموث بيرسون رجلاً عادلاً ومحباً للحق. أما في ما يتعلق بولديه فهو مستعد للقيام بأي شيء للحفاظ على سلامتهما وسعادتهما.

سألها: «لماذا لا تريدينني أن أراه ليدي؟».

ساعدني يارب! أجهدت ليدي تفكيرها، لكنها لم تفلح في إيجاد حجة مناسبة. وقال والدها بإصرار: «لماذا يبدو الأمر صعباً؟».

www.elromancia.com

ـ إنه . . صعب عليّ .

صمت قليلاً ثم سألها : «صعب عليك أنت؟ كيف؟» .

شعرت ليدي بأن وجنتيها قد توردتا ، بعد أن عرفت ما ستجيبه به . غير أن والدها لاحظ احمرار خديها وأدرك أنها تشعر باحراج شديد بسبب هذه المحادثة . فعلق قائلاً : «آه ، يا إلهي . أنت تحمرين خجلاً!» .

فتشت ليدي عن عذر لذلك لكن من دون جدوى . وإذا بوالدها يتأملها قائلاً : «بالتأكيد . . أنت لم . . تغرمي به!» .

وفجأة بدأ عقلها يعمل من جديد وبدت جاهزة للتمسك بأي فكرة تلوح أمامها . فسألته : «هل . . هل يصدمك الأمر؟» .

ولم تتمكن من النظر في عينيه ، فكر والدها قليلاً ، ثم أدهشها بقوله : «حسناً أفترض أن ذلك لم يفاجئني . فقد افتتن بك جون كثيراً حين كنت مراهقة» .

شعرت بالذهول لما قاله : «هل كنت تعلم بذلك؟» .

أخيراً تمكنت من النظر في عينيه قليلاً ، لكنها عادت لتنظر بعيداً بسرعة وهي تؤكد له : «لكنه ليس افتتاناً هذه المرة يا أبي!» .

نسي ويلموث مشاكله الشخصية للحظات : «صغيرتي . لكنك بالكاد تعرفينه! باستثناء ذلك اللقاء منذ سبع سنوات ، أنت لم تريه سوى مرتين» .

ـ في الحقيقة . . ثلاث مرات . لقد رأيته في المسرح يوم السبت .

سألها : «ذهبت برفقته إلى المسرح يوم السبت؟ حين علمت أنني أريد أن أراه . . » .

قاطعته ليدي بسرعة : «لم يكن الأمر بهذا الشكل» .

تمنت لو أن والدها لا يلح عليها لتعطيه المزيد من التفاصيل . وتذكرت ما كان يردده على مسامعها دوماً ، من أن نظرة واحدة كانت كافية ليعرف أن والدتها هي الشخص الملائم له ، فقالت : «على أي حال ، كم مرة كان عليك أن ترى أمي لتتأكد من أنها حبك الحقيقي؟» .

وشعرت ليدي بارتياح حين أدركت أن والدها اعتبر هذه المعلومات أنباء

سارة . على أي حال ، لم يفتح موضوع القرض مجدداً . وظنت ليدي ، من تعابير وجهه ، أنه راح يستعيد ذكرياته .

سألها باهتمام طبيعي : «وما شعور جون نحوك؟» .

شعرت ليدي بالسرور لأن جون ماريوت لا يمكنه الاستماع إلى حديثها هذا مع والدها . فأجابته بصوت منخفض ، وكأنها تهمس في أذنه : «أنا . . أظن أن الوقت مبكر لأحكم عليه . لكنه أراد دعوتي على العشاء يوم السبت المقبل» .

ـ دعاك إلى موعدٍ آخر؟

أحست ليدي أن لونها يزداد احمراراً لأنها جعلت والدها يعتقد أنها كانت على موعد مع جون مساء السبت الماضي . تذكر والدها شيئاً فقال مبدياً دهشته : «أنت لم تعودي إلى المنزل ليلة السبت الماضي!» .

احمرت وجنتا ليدي بشدة ، وشكرت الله لأن النفور ما زال سائداً بين والديها ، وإلا لأخبرته أمها أن ابنتهما الصغيرة أمضت الليلة في شقة شقيقة تشارلي!

شعرت بحرج شديد ، ثم قالت بسرعة : «أخبرته أنني لن أقبل دعوته لأنني لا أعرف في أي ساعة بالضبط سينتهي حفل زفاف أوليفر . و . . سألني جون إن كان . . إن كان يستطيع حضور الزفاف» .

نظر والدها إليها بوقار ثم ابتسم مشجعاً : «حسناً ، يبدو أنه شديد الحماسة» .

ابتسمت ليدي ابتسامة ذابلة وشعرت بالارتباك وهي ترى اهتمام والدها بالموضوع ، بعد أن تمكنت من اختلاق هذه الكذبة . وتابع يقول : «من الأفضل أن تطلبي من أخيك أن يرسل له دعوة» .

حدقت ليدي إلى والدها غير مصدقة . لقد وافق! كانت أعصابها شديدة التوتر ، لكن الموضوع بدا أبسط مما توقعت . لقد سارت الأمور أفضل مما توقعت ، ومع ذلك سألت والدها : «ولكن ، ألن تقول شيئاً لجون خلال حفل الزفاف؟ أعني . . بشأن المال؟» .

فاعترف والدها : «أعرف أن الأمر لن يبدو مناسباً ، لكن عليك أن تعلمي

أنني سأناقش الأمر معه في أقرب وقت ممكن».

توقعت ليدي هذا. فوالدها رجل يحب الحق ويدفع كل ما يتوجب عليه في الوقت المناسب. ومرة أخرى جاءت الكذبة على لسانها وليدة اللحظة: «لكن ليس الآن، ليس قبل مرور بعض الوقت. أظن أنه سيغادر لندن هذا الاسبوع، فلديه مؤتمر أو ما شابه».

وافق والدها قائلاً: «إذن سيكون عليّ الانتظار حتى الأسبوع القادم».

لحسن الحظ أن أوليفر في المنزل. ومع أنه بدا مشوش الذهن، إلا أنه ما إن رأى ليدي تخرج برفقة والدها من غرفة المكتب إلى غرفة الجلوس حتى هتف: «ليدي!».

ثم اندفع نحوها ليضمها وهو يسأل: «كيف حالك؟».

بدا التجهم على وجه ليدي: «لا يمكنني أن أشكو. لا بد أنك متشوق ليوم السبت أليس كذلك؟».

- بصراحة، سأكون سعيداً حين ينتهي كل شيء، ونصبح أنا ومادلين بمفردنا بعيداً. ولو أن الأمر يعود إلينا نحن لاكتفينا بزواج بسيط.. لكن والدة مادلين لن ترضى بذلك البتة.

تدخلت والدته قائلة: «بالطبع، لن تقبل. يجب أن تتم الأمور بحسب الأصول أوليفر. لن يرضى آل وارد واتسون أن تتسلل ابنتهم لتتزوج بهذه الطريقة، وكأن لديها ما تخفيه».

يبدو أنها ليست المرة الأولى التي يتلقى فيها أوليفر تأنيباً بسبب رأيه هذا، وهو لا يرغب بتلقي المزيد، حتى لو كان ذلك من والدته الحبيبة. لذا حاول تغيير مجرى الحديث ليبعد نفسه عن الأضواء، فسأل ليدي: «ماذا عنك ليدي، ألن نسمع أخبار زواج وشيك؟».

كانت على وشك أن تقول لا، لكنها تنبهت لنظرات والدها، فقالت متعلثمة: «أنا..».

فقال أوليفر ممازحاً: «لقد احمرت وجنتاك».

قاطعه والدها، الذي جعلها تشعر بإحراج شديد حين قال: «دعها

تتورد. لكن، ثمة شخص يمكنك دعوته إلى زفافك».

نظر أوليفر إليه باهتمام، أما هيلاري بيرسون فحدقت إليه بنظرة ملؤها التساؤل. فتابع يقول: «يبدو أن ليدي تواعد جون ماريوت. سيكون أمراً لطيفاً إن قام آل وارد واتسون بإرسال دعوة إليه».

رحماك يارب! حدقت ليدي إلى والدتها فإذا بها تنظر إليها غير مصدقة. سألتها وقد ساورتها الشكوك: «منذ متى يحدث هذا؟».

أجابها ويلموث بيرسون: «لقد ذهبت إلى المسرح برفقته مساء السبت الماضي».

تحدّت هيلاري ابنتها قائلة: «ظننتك ذهبت مع تشارلي أو شخصٍ آخر».

أجابتها ليدي: «أنا.. لم أعتقد.. أنك ستهتمين لجون».

تدخل أوليفر قائلاً: «أمي، ماذا لديك ضد جون ماريوت؟».

قالت ليدي بنبرة متخاذلة: «سأخرج لأتمشى قليلاً».

وأنقذها ذلك من إخبارهم بالمزيد من الأكاذيب رغم أنها بدأت تجيد الأمر. وعلى العشاء، بدا أوليفر في غاية السعادة، كما شعرت ليدي بسعادة لوجوده أيضاً. لم تستطع والدتها إخفاء تفضيلها لأوليفر عليها لكن ليدي لم تشعر بالانزعاج لذلك، خصوصاً في ذلك المساء. فقد وجدت والدتها المزيد من الأمور التي تودّ أن تسأله عنها ما أراح ليدي من أسئلتها الفضولية. أبلغها أوليفر: «بالمناسبة، ستصل الدعوة لجون غداً. كنت لا تزالين في نزهتك حين اتصلت مادلين، لكن أبي أعطاها عنوانه».

تمتمت قائلة: «شكراً».

شعرت بالسعادة لأن والدها تمكّن من إيجاد عنوان جون، لأنها لا تعرف أين يسكن.

سوف يمضي والداها وأوليفر ليلة الجمعة في فندق قريب من منزل والديّ العروس، لئلا يضطروا للانتقال بالسيارة مسافة طويلة يوم الزفاف. أما مراسم الزفاف فسوف تتم بعد ظهر يوم السبت. وهكذا، كان أمام ليدي متسع من الوقت لتصطحب أليس عمة والدتها. لكن الوقت لا يزال مبكراً حتى يوم

الجمعة.

تلك الأكاذيب التي راحت تطلقها يميناً ويساراً جعلت ليدي تشعر بعدم الارتياح، لذا أرادت أن تبتعد قدر الإمكان عن أهلها. وهكذا فكرت بالخروج لشراء ثوب خاص للزفاف.

كانت واثقة من أن فكرة ارتداء ثوب جديد في الزفاف لا علاقة لها بحضور جون كضيف، بل جاءت فقط لرغبتها في الابتعاد عن أسرتها لبعض الوقت. عادت إلى المنزل محمّلة بمشتريات جميلة. قالت والدتها ما إن رأتها تدخل: «أنت ذهبت بالفعل إلى المدينة».

وبدت راضية تماماً لرؤية البذلة الحمراء الأنيقة والحلى التي اشترتها ليدي. أما أوليفر فلم يتمكن من الابتعاد عن مادلين فخرج باكراً، ولم يعد إلا في وقت متأخر. لكنه أعلن نهار الخميس أن عائلة وارد واتسون ستتمكّن من إكمال تحضيرات الزفاف من دون مساعدته، ويبدو أن مادلين كانت مشغولة بأمور كثيرة قبل حلول اليوم الموعود.

- سيمنحني ذلك وقتاً لأدعو أختي الصغيرة إلى مقهى بلاك بول.

أبدت ليدي موافقتها: «بما أنك سألتني ذلك بشكل ساحر فأنا موافقة».

وحين جلس الشقيقان في المقهى يرتشفان القهوة، سألته ليدي: «هل قررتما أنت ومادلين أين ستعيشان؟».

أخذ أوليفر رشفة من فنجانه: «ألم تخبرك أمي؟».

ثم ضحك مستغرباً ذلك، وتابع: «سوف نبني منزلاً في الأرض المجاورة لمنزل والديها».

سألته ليدي بهدوء: «هل أنت مقتنع بذلك؟».

شعرت بالأسى على شقيقها الذي يبدو أن آل وارد واتسون سيتحكمون بحياته. بدا بوضوح أنه لم يفهم قصدها إذ أجابها بثبات: «سوف أحب ذلك بالتأكيد فأنا أفضل العيش في مكان جديد وعصري».

زاد ذلك من ذهولها: «ألا تفضل العيش في منزل ذي طابع تاريخي؟».

سألها أوليفر: «مثل بيمهارست؟».

ثم هز رأسه مضيفاً: «لا، شكراً. كل ما فعله والدي هو دفن المال في هذا المكان. لاعجب أنه أصيب بالإفلاس، فالحفاظ على ذلك المكان بحالة جيدة يكلف ثروة».

حدقت ليدي إليه وهي تفكر في أنه لم يقدِّر يوماً أن والدها أصيب بالإفلاس لأنه كان مضطراً لأن يدفع ديون ابنه. وتابع أوليفر: «قلت له يوم الثلاثاء، حين راحت أمي تتكلم عن ميراثي، إنني لا أهتم بالحصول على قصر بيمهارست حتى لو كان يساوي ثروة. هيا، اشربي فنجانك، سوف أحضر لك فنجاناً آخر».

تركها جالسة بذهول، وذهب ليطلب فنجاناً آخر. حاولت ليدي تقبل هذه الفكرة، فإذا كانت تحب البيت القديم لا ضرورة لأن يحبه أوليفر أيضاً، حتى لو نشأ فيه. بدت لها الأمور على الشكل التالي: يبدو أن أوليفر لا يدرك أنه سبّب مشكلة قاسية لوالده بسبب سوء إدارته لأعماله. ومن الواضح أنه ليس على علم بأزمة والدهما المالية على حقيقتها. هذا طبيعي، فبعد خطوبتهما، راح أوليفر يمضي معظم أوقاته بعيداً عن المنزل برفقة مادلين. لكن.. بدا من غير المناسب إخبار أوليفر الآن عن الموضوع فيما هي ترى حماسه وسعادته وشوقه للحظة زواجه.

* * *

شعرت بالارتياح وهي تلوح بيدها مودعة والديها وشقيقها صباح يوم الجمعة. ارتاحت لبقائها وحدها في المنزل مع السيدة روس، إذ لم تعد مضطرة للكلام. فما قالته من أكاذيب نال اهتمام والدها الذي كانت نظراته تتسم بالقلق، كما أراح بال والدتها. شعرت ليدي بالغيظ حين فكرت أن عليها يوم السبت أن تظهر مع جون ماريوت وكأنهما صديقان حميمان. يا إلهي أنقذني.. عليها أن تبذل الكثير من الجهد لتخطي هذه العقبة من دون أن ينتبه جون ماريوت إلى أن عليه لعب دور صديقها.

بدأ صباح السبت مشرقاً وجميلاً. وقررت ليدي الذهاب في وقت مبكر لاصطحاب عمتها أليس. وفيما هي على وشك المغادرة اتصل بها تشارلي

هيلبار، واستغربت ليدي نبرة صوته حين قال على الفور: «فكرت في أنك قد تحبين تناول العشاء معي».

تشارلي صديقها، وشعرت ليدي أنه يعاني من مشكلة ما، فسألته قائلة: «متى؟».

ـ الليلة، أظنه وقتاً مناسباً.

ـ تشارلي، لا أستطيع. فاليوم زفاف أخي.

ـ عذراً، لقد نسيت. إذن غداً؟ هل تأتين للعشاء؟

وفجأة خطر لها أن من المفترض أنها تواعد جون ماريوت. هل ستتمكن من التظاهر أمام والديها بأن موعد الغد سيكون معه؟ قالت بسرعة: «سأحب ذلك تشارلي. لكن هل من خطب؟».

ساد الصمت على الطرف الآخر وأحست ليدي وكأنها تكاد ترى تشارلي يتورد خجلاً. لكنه ردّ فجأة، ومن دون تفكير: «إنها الموظفة الجديدة التي أخبرتك عنها.. لقد دعتني للخروج».

استغرقت ليدي في التفكير وهي في طريقها إلى منزل عمة والدتها. مسكين تشارلي.. إنه غارق حتى أذنيه. لكن إذا لم يبدُ واثقاً من نفسه فلا شك في أنها ستسخر منه.

كانت أليس غوف جاهزة بانتظار أن تقرع ليدي جرس الباب، وما إن وصلت حتى بادرتها: «أتراني سأنال رضى أمك؟».

أبدت ليدي إعجابها بفستان عمتها الحريري وقبعتها المصنوعة من القش: «تبدين مذهلة!».

لم تغادرا المنزل على الفور، إذ قالت أليس: «لقد أعددت بعض السندويشات. من الأفضل أن نأكلها الآن، فقد تستغرق المراسم والتقاط الصور وقتاً طويلاً. والله وحده يعلم متى سنأكل مجدداً!».

لكنهما وصلتا إلى الكنيسة في الوقت المحدد، وأخذتا مكانيهما وراء والدي ليدي. التفت أوليفر إليهما، فابتسمت ليدي تشجعه وقد بدا عليه التوتر وهو يجلس أمام والديهما مع إشبينه. التفتت والدتها أيضاً نحوهما كأنها

تقوم بتفحص سريع لعمتها. وإذا بالعمة أليس تقوم كذلك بتفحص هيلاري بيرسون جيداً. بدت المرأتان راضيتين، لم تعرف ليدي ما الذي يشعر به أخوها ذلك الصباح، أما هي فقد كانت أعصابها متوترة. لِمَ أراد جون ماريوت حضور الزفاف؟ لقد قال لها: «أنا أحب مناسبات الزفاف، طالما لست أنا العريس».

وتمنت ألا يأتي.. أن يتخلى عن فكرة الحضور، لكنها أدركت أنه إن لم يأتِ فستبدو كالغبية.

اختارت العمة أليس المقعد المحاذي للممر لأنها أقصر قامة من ليدي، فهكذا ستتمكن من رؤية مراسم الزفاف بشكل أوضح. أما ليدي فكانت أفكارها مشغولة بجون ماريوت وقد بدأ قلقها من عدم مجيئه يتزايد. والله وحده يعلم ما هي الأكاذيب الجديدة التي عليها أن تخترعها لتبرر عدم حضوره.. وفجأة، لاحظت دخول رجل راح يسير عبر الممشى ليقف بمحاذاة صف المقاعد الذي تجلس هي فيه. نظرت ليدي إليه.. واهتز كيانها. لقد أتى جون ماريوت! والتقت عيونهما. بدا ساحراً بطوله الفارع وبذلته الأنيقة وعينيه الزرقاوين المذهلتين وطلته الباهرة. حياها قائلاً: «ليدي».

أزاحت نظرها عنه لتستعيد صوتها: «جون. لا أظنك تعرف عمة أمي، السيدة أليس غوف. عمتي إنه جون ماريوت صديق لي!».

أخذ جون يد العمة أليس مصافحاً بلطف: «يسعدني لقاؤك سيدة غوف».

ثم مرّ أمام ليدي ليجلس في المقعد إلى جانبها. وحالما جلس، اقترب من أذنها وسألها: «أين صديقك؟».

يا إلهي ساعدني! ها هو يطلق سهماً قاتلاً على الفور، ما أثار الاضطراب في كيانها كله. عليها أن تخبره، بطريقة أو بأخرى، أن عليه هو أن يلعب دور صديقها المقرب اليوم.

ليس بإمكانها السماح له بالتحدث إلى عائلتها فيما هو يتكلم عن شخص آخر على أنه صديقها. بدأت تقول: «آه..».

حثها جون على متابعة الكلام: «آه.. ماذا؟».

شعرت ليدي برغبة شديدة في ضربه. كانت تفضل إبعاد وجهها عنه قليلاً، لكنها لا تريد أن يسمع شخص آخر ما ستقوله له. فقالت بصوت منخفض: «أنا.. آه.. أحتاج إلى التحدث إليك في أقرب فرصة عن هذا الموضوع».

فهم جون أنها لا تريد أن يسمع أحد ما ستقوله فسألها بلطف: «هل تفضلين أن نخرج من هنا قليلاً؟».

رمقته بنظرة غاضبة؛ ثم قالت وهي تصر على أسنانها: «بالنسبة لهذا اليوم، وإلى أن أقوم بشرح الوضع لك، ستكون أنت الصديق الذي أخرج برفقته».

مال برأسه إليها أكثر، وراحت يده تملس على شعرها الأسود الداكن. ثم عانقها عناقاً سريعاً وهو يهمس قائلاً: «آسف، كان علي أن أفعل ذلك فور وصولي».

راحت النيران تشتعل في داخلها. إنه يتلاعب بها. تعلم جيداً أنه يفعل ذلك. لكنها لا تستطيع القيام بأيّ شيء حيال الأمر فهي التي ادعت أنه صديقها. أبعدت رأسها عنه بغضب ورمقته بنظرة جليدية. أما هو فابتسم لها. ركزت ليدي اهتمامها على الصفحات المليئة بالترانيم والتي يحمل كل منهم نسخة عنها وسألت عمتها: «هل تعرفين هذه الترانيم عمتي؟».

أجابتها عمتها: «أحفظها غيباً. هل الأمر جدي؟».

ـ ماذا؟

ـ بينك وبين هذا الرجل.

آه، يا رباه! وجدت ليدي صعوبة أكبر في الكذب على عمتها، فقالت بحذر: «أنا أعمل على هذا الموضوع».

وإذا بأليس غوف تبتسم وما لبثت أن راحت تقهقه. وفي تلك اللحظة، ارتفع صوت موسيقى ريتشارد واغنر فوقف الجميع على الفور.

كان الاحتفال جميلاً أما العروس فبدت مشرقة. وشعرت ليدي بغصة في

حلقها وهي ترى أخاها الوحيد يتزوج. كما لاحظت أن والدتها تحاول إخفاء تأثرها وهي تحاول الوصول إلى منديلها.

وفيما خرج الجميع من الكنيسة، حصل ما كان متوقعاً. فما إن استدار جون حتى التقى بوالدها. حيّاه ومد يده لمصافحته: «كيف حالك ويلموث؟».

صافحه والدها قائلاً: «أنا مدين لك، وأظن.. أنّ علينا أن نلتقي».

هز جون رأسه وسأله: «هل أتصل بك؟».

ـ إذا استطعت ذلك.

ثم التفت ويلموث إلى زوجته التي ظهرت بقربه قائلاً: «هل تذكرين جون؟».

لم تكن هيلاري بيرسون واثقة من شعورها حيال صديق ابنتها فعلقت قائلة: «أليس هذا اليوم مميزاً؟».

التفت جون بلطف نحو ليدي فيما أجاب والدتها: «إنه مميز جداً».

لم تجد ليدي وقتاً مناسباً كي تشرح له لما أخبرت والديها بأنها تتواعد معه. فقد لاحظت ذبول عمة أمها فأدركت أن من الأفضل أن تهتم بها بالدرجة الأولى.

كان من المقرر أن يقام حفل الاستقبال في قاعة في منزل والدي العروس. وحين توجّهت ليدي وعمتها إلى حيث ركنت ليدي سيارتها عرض جون على العمة أن يقلها بسيارته فقال: «سيدة غوف، سيارتي هنا».

وقبل أن تتمكن ليدي من التفوه بأي كلمة، فتح جون باب السيارة وساعد أليس غوف على الدخول إليها، ثم التفت إلى ليدي التي بدا عليها الذهول. وقال لها: «أراك قريباً عزيزتي».

وصعد إلى سيارته ثم أدار المحرك. أما هي فساورها شعور بالتمرد كاد يصيبها بالجنون؛ أولاً، لقد وصل جون ماريوت بعدها إلى الكنيسة ومع ذلك وجد مكاناً جيداً ليركن سيارته، ومن ثم رحل مصطحباً معه عمتها وكأنها عمته! في طريقها إلى سيارتها راحت ليدي تفكر في ما يحصل لها. يجب أن تكون

شاكرة له، فسواء لاحظ أم لم يلاحظ وهن عمتها فقد وفر عليها السير كل هذه المسافة. تذكرت قوله أيضاً إنه يكن كل الاحترام لوالدها. وقد بدا ذلك واضحاً من الطريقة المهذبة التي كلمه بها اليوم.

ما إن وصلت إلى القاعة حتى رسمت ليدي ابتسامة على وجهها، وانضمت إلى جون وعمتها. بدا الإثنان منسجمين تماماً فيما هما يقفان بانتظارها ليتقدما برفقتها لتهنئة العروسين.

راح الضيوف يتحدثون ويلتقون بمعارفهم القدماء إلى أن حان موعد الطعام والخطابات. وطوال الوقت لم تجد ليدي فرصة مناسبة لتتحدث على انفراد إلى الرجل الذي ظهر وكأنه حبيبها اليوم، سواء أحبت ذلك أم لا. وما إن انتهى العشاء، وبدأ الضيوف بالمغادرة حتى فكرت ليدي بإعادة عمتها أليس إلى منزلها. من المؤكد أن العمة استمتعت بالزفاف، لكنها تشعر الآن بالتعب.

سألها جون: «ما بك؟ يبدو عليك القلق».

فنظرت إليه: «أعتقد أنه يجدر بي أن أصطحب العمة أليس إلى منزلها، ولكن..».

لم تكن مضطرة لأن تكمل كلامها، فقد هز جون رأسه مبدياً تفهمه: «سآتي معك إلى السيارة حين تصبحان جاهزتين».

اعتقدت ليدي أن بإمكانها التحدث إليه أثناء مغادرة القاعة، لكن المجاملات الوداعية لم تسمح لهما بذلك. أما بعد ذلك، فكل ما استطاعت ليدي التفكير فيه هو عمتها التي بدت شديدة الإرهاق وبحاجة إلى الراحة والهدوء. حين أصبحا في الخارج اقترح جون: «استندي إلى ذراعي سيدة غوف، فهذا الممر مليء بالحصى غير المتناسقة».

قالت ليدي: «سأذهب لإحضار السيارة، ابقيا هنا».

لكن يبدو أن العمة أليس لم تسمع أي من كلماتها، فظلوا يتقدمون نحو السيارة ببطء، ولاحظت ليدي أن عمتها تتكىء بقوة إلى ذراع جون، فقالت وقد شعرت أن عليها التفوه بأي شيء فيما هم يتقدمون إلى السيارة: «لِمَ لا تبقى

هنا لحضور بقية الاحتفال؟».

ثم ذكرته: «لقد.. قلت إنك تحب حفلات الزفاف».

ونظرت إليه فكان جوابه تجهماً في قسمات وجهه.. وكأنما شيئاً ما تحرك داخل قلبها.. لم تتكلم ليدي مجدداً إلا بعد أن ساعد عمتها على الجلوس بأمان في المقعد الأمامي. اتجه كلاهما إلى باب السائق وحين دارا حول مؤخرة السيارة، توقفت ليدي وتوقف جون معها. فقالت معتذرة بسرعة: «آسفة.. لأني جعلتك تدعي أنك صديقي الحميم».

سألها برزانة: «ما معنى كل هذا؟».

شعرت ليدي بالسعادة لأنه تحدث إليها بجدية، فاعترفت: «ما زلت حتى هذه اللحظة لا أعلم كيف حصل ذلك. بعد أن رأيتك يوم الإثنين، وصلت إلى المنزل وكان علي أن أخبر والدي عن لقائي بك وأن لاداعي لأن يقلق بشأن المال، وأنك تريده أن ينسى الأمر..».

ثم أردفت بسرعة: «أعرف.. أعرف.. كذبت مجدداً، لكن والدي رجل شديد القلق وهو يتألم كثيراً بسبب هذا الموضوع».

ردد جون: «يتألم؟ آسف لسماع ذلك!».

أسرعت تقول: «على أي حال، لقد بدا صلباً وعنيداً حين قال إنه لن ينسى الموضوع. وحين أصر على رؤيتك وهو لايزال مصراً على ذلك.. قلت له إن الأمر صعب.. حسناً، أنا وأنت نعلم أن الدين ديني أنا..».

توقفت عن الكلام لتنظر إلى السيارة، فإذا بعمتها تغط في نوم عميق. فتابعت تقول: «على أيّ حال، كان عليّ أن أقول شيئاً يمنعه من الذهاب لرؤيتك».

ـ ومن الطبيعي أن يسألك عن السبب.

هزت رأسها: «نعم، أصر على معرفة السبب، فقلت له مجدداً إن الأمر صعب عليّ..».

ـ رحت تتعثرين في الكلام أكثر فأكثر.

ـ لست معتادة على اختلاق الأكاذيب.

ـ لكن يبدو أنك أصبحت بارعة في ذلك.

لم تشعر بالامتنان لهذا التعليق، وقالت على عجل: «في هذا الوقت، بدأت أشعر بالتوتر أكثر فأكثر، ولاحظ أن لون وجهي تغير.. وظن أنني..».

تلعثمت ليدي في كلامها ثم تابعت تقول وهي تشعر بالتوتر: «ظنّ أنني أغرمت بك».

شعرت أن عليها أن تكون صادقة معه، فقالت: «حسناً، لأكون صادقة، لقد قدته إلى هذا الاعتقاد».

ولم تكن لديها النية في أن تخبر هذا الرجل المحنك عما قاله والدها عن تأثيرها فيه، بل تابعت قائلة: «حسناً، بشكل أو بآخر. لم أكن في تلك اللحظة أفكر فيك.. كنت فقط أحاول تحسين الوضع، فأخبرته أنني قابلتك وأنك ترغب بحضور زفاف أوليفر.. يبدو أنه أعتقد أنك تحاول بذلك التودد إليّ».

أنهت ليدي كلامها وقد بح صوتها تماماً. وسألها جون برزانة: «أظنك تدركين أنني لست متلهفاً لكي أقوم بهذا الدور».

هبت في وجهه وكأنها تستعد للقتال: «لا تكن معتداً بنفسك».

لكنه علق قائلاً: «بما أنك اخترعت وجود تلك العلاقة بيننا، فيبدو أن ثمة المزيد لتتكلم عنه».

أوقفته ليدي وقد أدركت أنه سيتركها ويذهب: «انتظر لحظة، كان علينا أن نناقش ما توصلت إليه بشأن طريقة إعادة المال إليك».

ـ تريدين أن أخبرك الآن؟ كيف..؟

لقد انتظرت أسبوعاً كاملاً لتسمع ذلك. فقاطعته قائلة: «أرجوك، أنا أفكر في أن أقوم بعملين لأسدد لك الدين على دفعات».

ـ وما نوع العمل الذي ستقومين به؟

ـ أي شيء يمكن إيجاده. بصورة عامة، أنا مستعدة للقيام بأي عمل.

نظر إليها بثبات وسألها: «أي عمل؟ تقولين إنك مستعدة للقيام بأي عمل؟».

بالطبع.. وافقت تقول: «أي عمل بالطبع، إذا كان عملاً قانونياً..».

لاحت ابتسامة عند زاوية فمه، وفكرت ليدي في أنها ابتسامة لا إرادية. لكن جون استعاد رزانته بسرعة ليسألها: «كم عمرك؟».

كانت واثقة من أنه يعرف كم تبلغ من العمر ومع ذلك أجابت: «اثنان وعشرون عاماً. لماذا؟».

هز جون كتفيه وقال: «أردت التأكد فقط من أن أي اقتراح أقدمه سيكون قانونياً وموجهاً إلى شخص راشد».

حدقت إلى وجهه ثم قاطعته قائلة: «لست واثقة من أنني سأحب طريقة كلامك».

بدت التسلية على وجهه ما جعلها ترغب ليس بصفعه وحسب بل برفسه أيضاً.

التفت جون إلى السيارة حيث تجلس عمتها، ولحقت نظرات ليدي بنظراته فلاحظت أن عمتها استفاقت من نومها. سألها جون وهو ينظر إليها مجدداً: «أنت تعرفين عنوان منزلي، أليس كذلك؟».

ـ في الواقع، لا. لا أعرف.

أخذ محفظته وأخرج منها بطاقة ناولها إياها: «من الأفضل أن تأتي غداً إلى شقتي في لندن».

ـ غداً؟

أجابها: «نعم».

أدركت ليدي أنه يتلاعب بها مجدداً: «ظننت أننا سنصل إلى حل اليوم».

ـ ألا تظنين أن من الأفضل أن تأخذي عمتك إلى المنزل الآن؟

إنه محق بالطبع. لكن ملاحظته أزعجت ليدي. نظرت إلى بطاقته، فلاحظت أنه يملك منزلاً في لندن وآخر في يورك هاوس، في هيرتفورد شاير تحديداً. لكنها أرادت أن تنهي المسألة الآن، فسألته: «هل يمكنني أن آتي لرؤيتك اليوم؟».

أجابها جون بلطف: «همم، سوف يتعارض ذلك مع مشاريعي لهذه

الليلة».

فقالت ليدي بسرعة: «حسناً، سوف آتي غداً».

شعرت بتقلص خفيف في معدتها، إذ فكرت في أنه قد يكون على موعد هذه الليلة مع تلك الشقراء الأنيقة. ثم تابعت تسأله: «أي وقت يناسبك؟ يمكنني الحضور بعد الفطور».

أجابها جون بهدوء: «أفضل البقاء في السرير إلى وقت متأخر صباح الأحد».

طبعاً، يمكنها أن تراهن على ذلك!

ثم فكر قليلاً: «دعيني أرى.. يمكنك المجيء عند المساء».

لكنها ستتناول العشاء مع تشارلي غداً، فقالت: «لدي موعد غداً مساءً».

وشعرت بالسرور لأنها أبلغته بذلك. فقال جون ممازحاً: «أحقاً، ليدي! تواعدين شخصين في الوقت نفسه؟».

فكرت ليدي في أنها تستحق ذلك. انتظرت قليلاً، لكن جون لم يقدم اقتراحاً آخر، فأدركت أنه يتوقع منها إلغاء موعدها. عندئذ استسلمت: «في أي وقت؟».

ـ فلنقل عند السابعة.

قالت موافقة: «حسناً، عند السابعة».

واستدارت إلى السيارة.

سبقها جون. وفتح لها الباب ثم تمنّى لعمتها رحلة مريحة إلى المنزل. تنحى جانباً، لكنه لم يغلق الباب. وما لبث أن سمع عمتها تقول بصوت مرتفع: «يا له من رجل ليدي! سيكون زوجاً رائعاً لإحداهن».

لم تتمكن ليدي من الكلام بل نظرت إلى جون الذي كان يقف وقد ارتسمت على وجهه ضحكة ساخرة. كانت تنظر إليه مباشرة، وسرّها أنها تمكّنت من استعادة صوتها، فرفعت رأسها قائلة: «أشكر الله لأنها لن تكون أنا».

ثم أقفلت باب السيارة وانطلقت في رحلتها.

٤ ـ لن يخدعني أحد!

أمضت عمتها معظم الرحلة وهي تغط في النوم، ما منح ليدي الكثير من الوقت لتفكر في ما حدث معها اليوم. وبالطبع، لم يكن أخوها وعروسه من استحوذ على تفكيرها بل جون ماريوت.

سبب رغبته في حضور الزفاف ظل غامضاً بالنسبة إلى ليدي. لكنه أتى. وعليها الاعتراف بأنه لم يخذلها في أي من تصرفاته. إلا أن ذلك لم يجعلها تنسى المبلغ الذي يثقل كاهلها. قادت ليدي سيارتها على مهل، فوصلتا إلى منزل العمة بعد السابعة بقليل. دخلت ليدي معها إلى المنزل، وشعرت بالقلق عليها كثيراً إذ أنّ لونها تغيّر بشكل مخيف، ولم تمانع حين دعتها لقضاء الليلة عندها. علّقت عمتها: «سيكون ذلك جميلاً. فأنا لا أراك كثيراً ليدي».

شعرت ليدي بالذنب. وعاهدت نفسها بأن تكثر من زيارتها لها أينما كان مقر عملها في المستقبل. ناقشت المرأتان أحداث النهار معاً وسألتها أليس غوف: «متى سترين جون مجدداً؟».

أجابتها ليدي بصدق: «غداً».

ضحكت عمتها بهدوء وعلّقت قائلة: «أظنكما ستتفاهمان كثيراً».

فتحت ليدي فمها لتقول إن ما من شيء جدي بينهما، لكن عمتها بدت بحاجة إلى النوم مجدداً.

لم تكن ليدي تشعر بالنعاس، فتمنت لعمتها ليلة سعيدة، وبقيت في الطابق السفلي. وفيما هي تنظف المطبخ راحت تفكر في أن قضاء والديها الليلة أيضاً في الفندق أمر سخيف.

بعدئذ، جلست ليدي وهي تفكر بلقائها مع جون عند السابعة من مساء

الغد. شعرت بعدم الارتياح بسبب ذلك اللقاء، وتذكرت غطرسته الزائدة حين توقع منها أن تلغي موعدها من دون أن يرف له جفن.

دعاها تشارلي لتناول العشاء لكي تواسيه في مشكلته مع روينا فوكس، وهي تتفهم خجله المؤلم، فقد عانت هي نفسها من هذه المشكلة في ما مضى. وبالرغم من تعاطفها مع تشارلي ومع خجله الذي لم يتخطاه بعد، إلاّ أنها لن تتمكن من مساعدته. فبعد أن تمضي نصف ساعة من النقاش المزعج مع جون، المفاوض القاسي في الأعمال كما تعتقد، لا بد أن تقضي على ما تبقى من معنويات تشارلي إذا ما التقت به.

وبعد خمس دقائق من التفكير المجهد، أخذت هاتفها واتصلت بتشارلي. قالت له على الفور: «لن أتمكن من المجيء غداً تشارلي».

أجابها شاكياً: «أوه، ليدي. ماذا سأقول لروينا يوم الاثنين؟».

ـ هل تريد الخروج معها؟

ـ حسناً، نعم. . أتصور أنني أريد ذلك، ولكن. .

ـ لكن لا شيء تشارلي. هل سبق أن خرجت روينا مع أحد زملائك؟

ـ لا. سألها الكثيرون أن تخرج معهم. لكن، بحسب معرفتي، لم تقبل دعوة أحد.

ـ إذن، ماذا تستنتج من هذا؟

فكر تشارلي لبضع ثوانٍ، وأخيراً قال: «لا أدري».

ابتسمت ليدي. وقالت: «يجب أن تستنتج أنها معجبة بك».

ـ لكنني أتلعثم كلما كانت قريبة مني. . أنا لست بارعاً مع النساء.

ـ لهذا بالضبط تريد روينا الخروج برفقتك، وليس برفقة سواك.

لم يفهم تشارلي ما تقصده، فسألها: «لماذا؟».

ـ حسناً، أنا أخمن فقط. لكنني أعتقد أنها قد اكتفت من الشبان الذين يظهرون ثقة كبيرة بأنفسهم. ربما تشعر بالارتياح أكثر مع شاب لا يتحاذق عليها طوال الوقت.

تساءل تشارلي: «أتظنين ذلك؟».

ـ أنت تعرف روينا منذ ثلاثة أسابيع، وهي تعرفك منذ ذلك الوقت أيضاً. هل تعتقد أنها كانت لتدعوك أنت من بين زملائك كلهم، لولا أنها لاحظت أنك لست من النوع الذي يستعجل الأمور؟

فكر في الموضوع لبعض الوقت، ثم سألها: «إذن، هل تعتقدين أن عليّ الخروج معها؟».

مسكين تشارلي. . أكدت له ليدي: «أعتقد أن عليك القيام بذلك».

حلّ الصمت بينهما لبعض الوقت فيما راح تشارلي يفكر بالأمر. ثم سألها: «هل تعتقدين أن. . أن عليّ أن أعانقها؟».

قالت له ليدي بحدة: «تشارلي. . أنت في الثامنة والعشرين من العمر، وأنا لست والدتك».

ضحك تشارلي، ثم ودّع الصديقان بعضهما البعض.

شعرت ليدي بالطمأنينة حين استيقظت عمتها صباح يوم الأحد وقد بدت في حالٍ أفضل. بقيت معها إلى ما بعد الفطور، إذ لا شيء يدعوها للذهاب في وقت مبكر إلى المنزل. وبعد الفطور عادت إلى قصر بيمهارست.

ومع اقتراب الوقت الذي عليها أن تستعد فيه للذهاب إلى شقة جون ازداد اضطراب ليدي. صعدت إلى غرفتها لتأخذ حماماً ساخناً وتفكر في ما سترتديه.

وفيما كانت تستحم وصل والداها. ارتدت بذلة مع ذات لون أخضر باهتٍ، وأسدلت شعرها على كتفيها، ثم نزلت إلى الطابق السفلي. سمعت أصواتاً في غرفة الجلوس فأدركت أنهما عادا إلى المنزل. كانت تحمل حقيبتها في يدٍ ومفتاح السيارة في اليد الأخرى، فسألها والدها وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة: «هل أنت خارجة؟».

أجابته قائلة: «أنا ذاهبة لرؤية جون».

فقالت أمها بلهجة لاذعة: «أراك تكبدت عناء المجيء إلى المنزل! قالت السيدة روس إنك لم تنامي هنا الليلة الماضية».

حاولت ليدي أن تفسّر لها: «لم تكن العمة أليس بحالة جيدة».

ـ إنها في الحادية والثمانين من العمر.

ـ ألم تلاحظي أن الشحوب كان بادياً عليها؟

تابعت والدتها بازدراء وهي ترمق زوجها بنظرة قاسية: «كلنا نبدو شاحبين، وسنبقى كذلك إلى أن تنتهي هذه الفوضى المؤسفة إلى الأبد».

حدقت ليدي إلى والدها الذي ظل صامتاً وقد بدا الألم على وجهه. قالت وهي تتصنع نبرة فرحة: «أراكما لاحقاً».

سألتها والدتها بحدّة: «أتقصدين الليلة أم غداً صباحاً؟».

عندئذٍ، سمعت والدها يقول وقد ظهر طبعه الجديد الحاد: «هيلاري!».

أدركت أن أمها تعني أنها قد تمضي الليلة كلها في الخارج مع جون ماريوت. فخرجت من المنزل من دون أن تقول أي كلمة، ثم صعدت في سيارتها.

حين وصلت إلى المبنى الذي يسكن فيه جون، شعرت باضطراب شديد. قرعت الجرس ففتح لها جون الباب على الفور مرحّباً: «تفضلي ليدي».

راحت عيناه تتفحصانها من قمة رأسها وشعرها إلى ساقيها الطويلتين مروراً بعينيها الخضراوين، وقال: «كان عليّ أن أدرك أنك لن تكوني إشبينة العروس».

تعليقه هذا جعلها تشعر بالارتباك فكادت تتعثر في مشيتها. سألته وقد شعرت أن سؤالها غبيّ مثلها تماماً: «ل.. لماذا؟».

كان جون يرتدي ثياباً عادية، لكنه يبدو فاتناً.. أجابها فيما هما يدخلان إلى غرفة الجلوس: «أنت جميلة جداً، ولن ترضى أي عروس بأن تنافسيها يوم عرسها».

هل يظن حقاً أنها جميلة؟ أجابت ليدي وقد استرجعت بعضاً من ذكائها: «لا يفاجئني أن تعرف الكثير عن النساء».

دعاها جون بلطف: «تفضلي بالجلوس».

تأملت ليدي الغرفة سريعاً، فبدت لها جميلة بأثاثها الأنيق وسجادها الفاخر ولوحاتها المميزة. ومشت إلى مقعد ذي ظهر مرتفع فجلست عليه، وبدأت تقول: «لن يأخذ موضوعنا وقتاً طويلاً على الأرجح».

سألها جون: «هل تخشين أن تتأخري على موعدك؟».

لم يبد عليه الرضى وهو يقول ذلك.. مع أنه من يقرر كم سيطول لقاؤهما. ردت ليدي ببرودة: «في الواقع، لا».

برودتها هذه لم تكن سوى ظاهرية فقط، إذ شعرت بالغليان في داخلها. فأضافت بسخرية: «لقد ألغيت موعدي على شرفك».

وفجأة، غيّر جون الموضوع: «هل استمتعت في الزفاف؟».

حدقت ليدي إليه وكأنها تسأله ما علاقة هذا بوجودها هنا؟ حاولت السيطرة على نفسها وهي تجيبه: «كثيراً».

ثم سألته بلطف: «وأنت؟ أظنك مولعاً بحفلات الزفاف!».

تراءى لها أنّ ضحكة صغيرة ارتسمت عند زاوية فمه، وكأنه يتسلى بكلامها. سألها برزانة: «هل اطمأنيت على عمتك اليوم؟».

ـ بدت عمتي متعبة بالأمس، لكنها أصبحت في حال أفضل اليوم.

هذا الرجل لا يفوته شيء، إذ سألها: «هل رأيتها اليوم؟ لقد أخبرتني أنها تقطن في أوكورد شلير».

ـ المكان ليس بعيداً جداً. لكنني لم اضطر للذهاب اليوم، فلقد أمضيت الليلة عندها.

راح جون يحدق إليها، ولم تكن تملك أي فكرة عما سيقوله. لكنها شعرت برغبة في ضربه حين قال يتهمها: «لقد احمرّت وجنتاك ليدي. ما السر الذي تخفينه والذي يجعلك تشعرين بالذنب؟».

نفت ليدي ما يتهمها به: «أنا لست مذنبة».

لكنه جلس وراح ينتظر أن تتكلم. لم تعرف كيف بدأت الكلام: «لقد أساءت أمي فهمي، فبدلاً من أن تستنتج أنني أمضيت الليلة عند عمتي، يبدو أنها.. لقد اعتقدت.. أنني أمضيت الليلة عندك».

واختفى صوتها فلم تستطع المتابعة. شعرت فجأة بالنار تشتعل في داخلها، وعلمت أن لا أمل لديها في أنّ يتوقف عن طرح الأسئلة إذ سألها بإلحاح: «لِمَ قد تظن أمك هذا؟».

قاطعته قائلة: «أكره الرجال اللجوجين».

فقال معلقاً بلطف: «ما يعني أيتها الصغيرة، أنك وقعت الآن بين يديّ أحدهم!».

عاد يسألها بإصرار: «لماذا؟».

رمقته ليدي بنظرة ساخطة وقالت بغطرسة واضحة: «أنا لست هنا لمناقشة هذا الأمر».

لم تنفعها غطرستها هذه إذ بقي صامتاً ينتظر جوابها. تنهدت بصعوبة، لكنها أدركت أن ما من منفذ أمامها سوى الاعتراف. فبدأت تقول والمشاعر تزداد اضطراماً في داخلها: «ما دمت مصراً. حين أمضيت ليلة السبت الماضي في لندن..».

حثها جون: «نعم؟».

لم تشأ متابعة الكلام، لكنها علمت أن عليها المتابعة ولو بشكل مختصر. فقالت فجأة: «حسناً، أنت تعرف معظم القصة. حدث الأمر يوم الإثنين الماضي حين عدت إلى المنزل، بعد أن قابلتك. يبدو أن والدي أخذ انطباعاً أننا.. أنا وأنت.. على علاقة».

ـ أنت من أعطيته ذلك الانطباع.

قالت ليدي بغضب: «آه.. أصمت. على أيّ حال، ظن والدي أنني مغرمة بك».

ـ هذا ما جعلته يفهمه، ولأسباب مبهمة.

استخدمت ليدي إحدى نظرات والدتها الحادة، ورمقته بها. لكنه لم يصعق بها البتة..

ـ على أي حال، قال أبي إنني بالكاد أعرفك، وإنني لم أرك سوى مرتين مؤخراً.. فأخبرته أنها ثلاث مرات وليس اثنتين، لأنني رأيتك في المسرح مساء السبت.. يبدو أن الجميع يسيء فهمي هذه الأيام!.

هزت ليدي كتفيها وقد سئمت من هذه التفاهات، ثم تابعت تقول: «عندئذ تذكرت أمي أنني لم أقضِ ليلة السبت في المنزل. وأظنك فهمت

البقية».

سألها جون وقد فاجأه قولها: «هل تظن أنك أمضيت الليلة في منزلي؟».

لم يسبق لها أن شعرت بمثل هذا الإحراج في حياتها. تمتمت: «نعم».

لكنها أكملت بسرعة: «وبعد ذلك، أصبح حصولك على دعوة الزفاف أمراً بسيطاً».

حين انهت كلامها، اكتفى جون بالتحديق إليها مطولاً وبنظرة حادة. لم يعجبها ذلك فتابعت قائلة: «إذا اكتفيت، فيمكننا الحديث عن كيفية إعادة القرض إليك».

ولان صوتها وهي تقول: «جون، أنا لا أريد أن أبدو جاحدة. فأنا ممتنة لك حقاً. لكن.. تحول الأمر إلى كابوس مؤخراً. وقد اضطررت، في الأسبوعين الأخيرين، لقول أكاذيب لم أحلم في حياتي بأن أتفوّه بها».

بدأت نظرات جون تلين بسرعة وتمتم قائلاً: «مسكينة ليدي! حسناً، دعينا نتفق على أن نكون صادقين مع بعضنا البعض دوماً».

ـ أظن أنني سأحب ذلك. لكن.. حتى لو كانت الأمور.. محرجة؟

أجابها: «نعم. حتى لو كانت كذلك».

ـ حسناً، أنا موافقة.

ـ إذن، كبداية أريدك أن تقطعي علاقتك بتشارلي.

قالت غير مصدّقة: «أقطع علاقتي بتشارلي؟».

وتابعت محتجّة: «لكنه صديقي!».

عاد يطالبها بلهجة آمرة: «اقطعي علاقتك به».

ـ لماذا؟

بعد لحظات من البرودة، أجاب قائلاً: «قمت بتحويل المال إلى حساب والدك المصرفي.. ولم أضع أي شروط. أما أنت فقد اختلقت أموراً كثيرة لكي تنقذي والدك من الإحراج، وأنا أتفهم ذلك. لكن، بما أنك أخبرت عائلتك أن ثمة علاقة بيننا وأنك تخرجين معي..».

وصمت لحظة ثم تابع هو يقول: «.. عليك أن تفهمي أنني لا أستطيع

www.elromancia.com

السماح لك بالخروج مع رجل آخر».

ثم أنهى كلامه بإيجاز: «لذا عليك أن تقطعي علاقتك به».

كان بإمكان ليدي أن تشرح له أن ما يجمعها بتشارلي مجرد صداقة بريئة. لكنها فكرت في أن الفتاة يجب أن تتمتع ببعض الكبرياء. فاحتجت قائلة: «وهل ستوافق إذا ما طلبت منك التخلي عن صديقتك في المقابل؟».

أجابها بفظاظة: «أنت لست في موقع يسمح لك بفرض شروط عليّ».

أشعلت تلك الحقيقة النار في أحشاء ليدي. لكن سرعان ما هدأت حين لان صوته وهو يضيف: «لكن، ولأكون عادلاً، عليّ أن أخبرك بأن ليس لدي صديقات».

ثارت ليدي قائلة: «نعم، أنت صادق تماماً. تلك التي رأيتها معك ليلة السبت الفائت كانت سراباً، أليس كذلك؟».

ـ أنا لا أبرر تصرفاتي عادة. لكن، وبسبب الصدق الذي تعاهدنا عليه، لا مانع لدي بأن أذكرك بأن موعدي مع فيريا في المسرح كان قبل أن تدّعي أنني حبيبك.

رمقته ليدي بنظرة عدائية. وتذكرت تلك الشقراء المذهلة، فأرادت أن ترضي فضولها: «ألن تراها مجدداً؟».

أدركت أن سؤالها شخصي جداً، ويظهر اهتمامها بالأمر. فأضافت بسرعة: «أعلم أن هذا ليس من شأني».

وافقها جون: «صحيح. هذا ليس من شأنك».

لكنه تابع يطمئنها: «لكن، إذا كنت تريدين الحقيقة، فأنا منهك من النساء».

اتسعت عيناها: «هل قررت أن تتخلى عن علاقاتك بالنساء؟».

عضّ شفته بقوة وقال مصححاً: «ليس هذا ما قلته».

ثم تابع يقول ما سبب لها صدمة قوية: «ومما قلته، لا أظن أن والديك سيمانعان إن أمضيت عطلة الأسبوع القادم برفقتي».

احمرت ليدي فجأة، ثم تحول لونها إلى الشحوب بسرعة. من المستحيل أن

يقترح عليها ما تظن أنه يقترحه... شعرت بالذهول ووجدت أنها غير قادرة على قول أي شيء فتمتمت: «آه...».

ابتسم جون ابتسامة ماكرة، تلك الابتسامة التي تكرهها ليدي، وقال: «سأذهب في الأسبوع القادم، إلى يورك هاوس، منزلي في هيرتفورد شاير. يمكنك مرافقتي».

حدّقت ليدي إليه والطبول تقرع في أذنيها. التقطت أنفاسها قائلة: «لماذا؟».

أصبحت الابتسامة الماكرة تكشيرة واضحة قبل أن تتحول إلى ابتسامة ساحرة: «استخدمي مخيلتك ليدي».

من المستحيل أن يحدث هذا معها! إنه غير معقول. وجاهدت بقوة لتوقف مخيلتها إلى أن تمكنت من القول: «لست بارعة في الطهو».

أكّد لها جون بلطف: «لن تضطري لقضاء وقت طويل في المطبخ».

كادت تموت رعباً وهي تحدق إلى وجهه. بعدئذ، قال جون وهو يتوجه إلى مكتب أثري حيث يحتفظ بأوراقه: «بالمناسبة، هذه نسخة عن الاتفاق الذي كتبناه».

أخذته ليدي من يده، وقلبها يخفق بسرعة. وراحت تقرأ تلك الفقرة التي أضافها بخط يده: «ويسدد المبلغ حسب تعليمات وخيارات جون ماريوت».

ابتلعت ريقها بصعوبة، ولم تتمكن من الجلوس أكثر، لكنها قالت تهاجمه وهي تنظر مباشرة إلى عينيه: «إذن، هكذا تريدني أن أسدد ما عليّ؟ بأن أصبح ألعو...».

ـ ألعوبة؟

لم تنخدع ليدي لحظة واحدة بالتعبير البريء الذي ارتسم على وجهه.

ـ مقابل خمسة وخمسين ألف جنيه سوف تكونين ألعوبة مكلفة.. ألا توافقينني الرأي؟

ـ ماذا إذن؟

ـ دعيني أقول لك، إني لم أتوصل بعد إلى حلّ حول كيفية إعادة المال.

www.elromancia.com

لكنني أعترف بأنني لست مقتنعاً بفكرة أن تعملي ليلاً ونهاراً كمربية أطفال كي.. كي تتمكني من تسديد المبلغ.

ـ أتظن أن ذهابي معك في عطلة نهاية الأسبوع سوف يلهمك ويعطيك أفكاراً جديدة؟

ما إن قالت ذلك حتى احمرت وجنتاها. ولاح أثر ابتسامة عند زاوية فمه وهو ينظر إلى وجهها المتورد، ثم قال: «نعم. يمكنك قول ذلك!».

إنه يحاول إغاظتها وتعذيبها، وقد وصل إلى أقصى الحدود في ذلك. تحدّته قائلة: «لماذا؟ لماذا عليّ أن أذهب معك؟».

أجابها: «ولمَ لا؟ بما أنه لم يعد لديك صديق تواعدينه.. وأعتقد أن.. صديقك السابق لا يعرف شيئاً عن أزمتك المالية».

قالت بسخرية: «بالطبع لا. هل تتصور أنني سأخبر أحداً عن الأزمة التي يمر بها والدي؟».

ـ إذن، ليس لديك ما تفعلينه خلال العطلة.

ـ سوف أبدأ البحث عن عمل!

ـ لا تفعلي ذلك.. ليس الآن. دعينا ننهي هذه المسألة أولاً. سوف تشعرين بارتياح أكبر حيال الموضوع بعد أن نمنح أنفسنا فرصة لمناقشة الأسباب والنتائج كلها، واحتمالات حل المشكلة المالية كلها.

ـ هل تحاول القول إن الهدف الوحيد من هذه العطلة هو البحث عن وسائل محتملة لإعادة المال إليك؟

قال: «سأنهي عملي في وقت مبكر يوم الجمعة وأتصل بك لأصحبك عند السادسة».

علّقت بسرعة: «لن يكون ذلك ضرورياً، فلدي العنوان».

لاحظت ليدي أنه يحاول إخفاء ابتسامته، وشرع يقول: «سأمرّ لاصطحابك..».

قاطعته قائلة: «عذراً لفظاظتي جون، لكنني أفضل أن تبقى بعيداً عن منزلي».

عادت تتساءل لما اعتذرت منه! توقعت أن يغيظها، لكنه بدا متفهماً حين أجاب بهدوء: «رأيت بنفسي مقدار ضعف والدكِ وإلى أي حد يعاني في هذه المرحلة. لكن يجب أن أراه وأتحدث إليه في وقتٍ ما».

شعرت ليدي بالإحراج. لم تستطع إلا أن تلاحظ احترامه الكبير لوالدها، وأن تشكره في داخلها على هذا الشعور. فقالت: «أعلم ذلك، لكن ليس الآن. ليس قبل أن نصل إلى حل ما».

اقتنع جون باقتراحها، أو على الأقل أظهر لها ذلك. سارت ليدي باتجاه الباب بعد أن انتهى لقاؤهما، فقال: «نلتقي يوم الجمعة».

رافقها إلى الباب، فأخذت تنظر إليه وهو يفتحه لها. التقت عيناه الزرقاوان الرائعتان بعينيها فشعرت بقلبها يخفق بسرعة. وقال لها: «حاولي ألاّ تقلقي. من يعلم؟ قد تمضين عطلة أسبوع ممتعة...».

ردت بنزق: «وكأن ذلك سيغريني!».

وخرجت مسرعة لتبتعد عنه. في طريقها إلى المنزل راودتها أفكار مقلقة. تذكرت ألم والدها العميق، وعلمت أنها لن تندم أبداً على ما تقوم به مهما كلفها ذلك. لازمتها هذه الفكرة طوال الطريق إلى بيمهارست. لكنها لم تكن تملك أدنى فكرة عمّا سيكلفها الأمر بالضبط، فهي ستمضي عطلة الأسبوع برفقة جون في هيرتفورد شاير. وهو لا يتوقع منها أن تطهو له!

كانت ليدي لا تزال تعاني من العذاب حين استيقظت صباح الإثنين وهي تتساءل عما يريده جون منها.

مجرد التفكير في الموضوع يجعلها تشعر بالنار تشتعل في داخلها. لقد أشار جون إلى أنه يشعر بالسأم من مطاردة النساء. لكنه رجل مكتمل الرجولة. وهي ليست ساذجة لتصدق أنه لن يحاول التحرش بها.

ساورتها المخاوف لمجرد التفكير بما قد يحصل. لكنها رأت أن الطريقة الوحيدة للتغلب على مخاوفها، هي محاولة الاقتناع بأنّ لا شيء سيحدث بينهما في تلك العطلة.

نزلت ليدي لكي تتناول فطورها، فوجدت أن والديها سبقاها إلى غرفة

الطعام. شعرت بشيء من التوتر يخالطه شعور بالذنب والخوف من أن يبدأ أحدهما بطرح اسئلة تتطلب أجوبة ملفقة. أخذت موزة وقالت شيئاً يتعلق بغسل سيارتها وتركتهما بسرعة.

سيطر جون على أفكارها فيما كانت تغسل سيارتها وتلمعها. يجب أن تبدأ البحث عن عمل جديد. لم يكن جون يريدها أن تعمل، ليس الآن على الأقل.. هذا ما قاله لها. لكنها تصورت أنها كلما بكرت في إيجاد عمل كلما تمكنت من تسديد المال له بسرعة أكبر.

دخلت إلى المنزل وقررت الاتصال بدونا، صديقتها وربة عملها السابقة.

تحدثت المرأتان بارتياح إلى أن بدا أحد الطفلين بالصراخ فتودعتا. سارت ليدي إلى نافذة غرفتها وحدقت إلى الخارج، فرأت والدها في الحديقة. راح قلبها يدق بلهفة عليه. ورأت أمها تخرج من المنزل ثم تقلع بسيارتها. لم تلاحظ ليدي أي أثر للاهتمام المتبادل الذي بدا عليهما يوم السبت حين أمسك والدها بيد والدتها.

وفي تلك اللحظة رن جرس الهاتف، فابتعدت ليدي عن النافذة. وبما أن والدتها خرجت ووالدها لن يسمع الهاتف بالتأكيد، قررت أن تجيب مع أنها لا تتوقع أن يكون الاتصال لها. إلا أن دقات قلبها تزايدت حين سمعت صوت جون ماريوت وهو يقول: «مرحباً ليدي، هل والدك في المنزل؟».

سألته بحدة: «تريد التحدث إليه؟».

صوتها الحاد جعل جون يسكت قليلاً قبل أن يجيب بهدوء: «إن لم يكن لديك أي اعتراض!».

لم تتوقع ذلك مطلقاً. فقالت: «لماذا تريد أن تتكلم معه؟ ولا تقل إن ذلك ليس من شأني، لأنني..».

قاطعها ممازحاً: «يا إلهي! ها إن الصغيرة تحاول حماية والدها. خففي عنك قليلاً ليدي».

ثم تابع متعمداً أن يعلمها بمقصده: «لقد وعدت والدك أن أتصل به. وأنا أتصل الآن لأخبره أنني سأغادر البلاد معظم الأسبوع».

هدأت ليدي قليلاً: «سأخبره بذلك».

ـ أليس في المنزل؟

ـ إنه يقوم بجز العشب في الحديقة، سيتطلب الأمر دقائق عدة لأصل إلى هناك، وأنت رجل مشغول.

ـ وأنت تحرصين كثيراً على وقتي.

لن تسمح له بالتحدث إلى والدها مهما حاول أن يسخر منها. لذلك أجابته: «سأبلغه رسالتك».

ـ سأكلّمه في الأسبوع القادم بعد عودتنا أنا وأنت من يورك هاوس.

انتفض قلبها لسماع ذلك، لكنها وعدته: «سوف أخبره بذلك».

ـ أراك يوم الجمعة إذن.

ابتلعت ريقها بصعوبة وقالت كذباً: «أتطلع شوقاً إلى هذا اللقاء».

ـ ماذا حدث للاتفاق بأن نكون صادقين دائماً مع بعضنا البعض؟

لم تجبه على تعليقه هذا، بل قالت: «إلى اللقاء جون».

وضعت سماعة الهاتف بهدوء لتلاحظ أنها ترتجف. لقد ارتجفت لمجرد التكلم معه! وحده الله يعلم ما الذي سيحدث لها يوم الجمعة. ارتدت بنطلون جينز وقميصاً قطنياً ثم نزلت لتتحدث إلى والدها. كان لا يزال يعمل، لكنه أطفأ محرك جزازة العشب حين تنبه إلى وجودها بقربه. فبادرته قائلة: «لقد اتصل جون، أراد أن يتحدث إليك».

ترك والدها جزازة العشب بسرعة. فأسرعت ليدي تقول: «لكنه أقفل الخط الآن».

وتابعت تقول: «لكنه طلب مني أن أخبرك بأنه سيسافر خارج البلاد خلال هذا الأسبوع، وسيتصل بك في الأسبوع المقبل».

وفجأة ظهرت خيبة الأمل على وجه والدها وقال بوهن لم تستطع ليدي تحمّله: «لا يمكن لهذا أن يستمر».

فأجابته وقد أصبح اختلاق الأكاذيب أمراً سهلاً بالنسبة إليها: «في الواقع، لدى جون اقتراح سوف يعرضه عليك، وهو يقول إنه قد يكون الحل

www.elromancia.com

النهائي لهذه المسألة».

أشرق وجه والدها قليلاً وهو يسألها: «حقاً وما هو؟».

شعرت بأن نفحة من الأمل التمعت في عينيه الذابلتين. وبالرغم من ذلك الصوت الذي دعاها للتوقف عن اختلاق المزيد من الأكاذيب، إلا أن ليدي تابعت تقول بفرح: «لم يخبرني ما هو. لكن مهما كان، فإن جون واثق من أن اقتراحه سيكون حلاً لكل مخاوفك، ذلك.. طبعاً إذا وافقت عليه».

ـ هل قال لك ذلك؟

أجابته: «أنت تعرف جون».

ـ أنا أعرفه بالتأكيد. لقد فكرت ملياً، ولم أجد وسيلة للخروج من هذه الورطة. لكن إن كان هناك شخص يستطيع التفكير بحل لهذه المسألة، فهو جون لأنه رجل أعمال ناجح.

خلال تلك اللحظات القليلة شعرت ليدي أن والدها استعاد حيويته السابقة.. لكنه عاد يسألها بإصرار: «ألم يقل أي شيء آخر؟».

حين سمعت نبرة صوته الملحة، أدركت مدى تأثير الكلام الذي قالته لتوها عليه. وتذكرت أن عليها إظهار السرور وهي تتكلم معه: «لا شيء».

لا يمكنها حرمان والدها من الشعور بالأمل، رغم علمها بأنها لفقت من الأكاذيب ما يكفيها مدى الحياة. وبدأت تشعر بالخوف من أن يحاول استدراجها في الحديث، فتخبره المزيد من الأكاذيب. قررت الابتعاد عن المنزل لبعض الوقت، فقالت: «أفكر بالذهاب لرؤية العمة أليس. وأود أن أذهب الآن قبل أن تأخذ قيلولة بعد الظهر».

وكان هذا صحيحاً. فقد فكرت فعلاً بزيارة العمة أليس، لكنها كانت تنوي الذهاب غداً وليس على الفور.

شعرت ببعض الارتياح حين وجدت عمتها تعتني بحديقتها، فهذا يعني أنها أصبحت بصحة أفضل، رغم شحوب لونها قليلاً. لكن الشعور بالذنب راح يتسلل إلى صدرها. ومع تقدم ساعات النهار، بدأ هذا الشعور يتزايد أكثر ليزيد من عذابها. ما الذي فعلته؟ لقد أعطت والدها فترة قصيرة من راحة

البال. لكن، لِمَ قامت بذلك؟

شعورها بالذنب وعدم رغبتها في حرمان والدها من راحة باله دفعاها إلى تأجيل عودتها إلى بيمهارست حتى يوم الخميس.

سألتها أليس غوف: «هل أنت واثقة من أنك تريدين الرحيل؟».

ثم اعتذرت منها قائلة: «كلما أعطيتني أكثر كلما طلبت منك المزيد، أنا عجوز أنانية».

قالت ذلك بلطف ما جعل ليدي تضحك وضحكت هي أيضاً. غمرتها ليدي وقبلتها وهي تعدها بأن تعود إلى زيارتها في وقت قريب. في طريق عودتها إلى المنزل راح سؤالان يلحان عليها بقوة؛ الأول، كيف ستخبر والدها أن كل ما قالته له ليس سوى أكاذيب؟ والثاني، كيف ستتخلص من مشروع الذهاب مع جون ماريوت إلى هيرتفورد شاير غداً؟

ظهر الجواب على سؤالها الأول حين رأت والدها، فأدركت أنها لن تستطيع الاعتراف له بالحقيقة. وكيف يمكنها ذلك؟ إنه يبدو بحال أفضل. كيف يمكنها أن تقطع خيط الأمل الذي يتمسك به؟ وكان الجواب الوحيد الذي توصلت إليه هو أن تعطي والدها بضعة أيام إضافية من الشعور بالارتياح. أما مسألة ذهابها برفقة جون ماريوت غداً إلى يورك هاوس فلم تتمكن ليدي من إيجاد جواب لها.

كان الطقس ممطراً يوم الجمعة، ما تلاءم جيداً مع مزاج ليدي. راح قلبها يخفق بسرعة كلما فكرت بأنها ستمضي عطلة نهاية الأسبوع في يورك هاوس. ومع ذلك، وضّبت حقيبة صغيرة استعداداً للرحلة. وبما أنها لا تستطيع التغيب عن المنزل خلال عطلة نهاية الأسبوع من دون إطلاع والديها على مكان وجودها، فقد قررت لنفسها بأنها فكرت بأن تكذب عليهما وتدّعي أنها ستمضي العطلة عند العمة أليس لكنها عادت فغيرت رأيها.

زمّت أمها شفتيها لكنها لم تقل شيئاً. أما والدها فبدا مليئاً بالأمل.

يبدو أن التكتم على مشاكلهم المالية هو أمر بديهي وغير قابل للبحث. وبما أن والدة ليدي رئيسة إحدى الجمعيات الخيرية، كان عليها تنظيم إحدى

الندوات ذلك المساء.

شعرت ليدي بالارتياح لأن والدها رافق والدتها لتقديم المساعدة. فرحلا معاً عند الساعة الخامسة، ولن تراهما مجدداً قبل مغادرتها.. عادت تفكر بما لفقته من أكاذيب..

كان جون قد اقترح عليها أن يأتي لاصطحابها، لكنها رفضت عرضه. وفي تمام الساعة السادسة قررت ليدي أن تنطلق، فحملت حقيبتها واتجهت إلى الطابق السفلي. ودّعت مدبرة المنزل وكانت على وشك المغادرة حين رن جرس الهاتف. تمنت من كل قلبها أن يكون جون المتصل.. لعله يتصل ليلغي المشروع.. عادت لكي تجيب على الهاتف. لكن، لم يكن المتصل جون بل ميريل بالتر جارة عمتها. اتصلت ميريل لتخبرها أن عمتها أليس مريضة وأن الطبيب برفقتها الآن. سألتها ليدي بسرعة وقد نسيت كل شيء آخر حتى جون: «ماذا أصابها؟».

- إنه قلبها، كما أعتقد. رأيتها من نافذتي العلوية تقع أرضاً في حديقتها. لقد أصيبت بدوّار مرتين مؤخراً، لكن يبدو الأمر أكثر جدية هذه المرة.

لم تنتظر ليدي لسماع المزيد وقالت: «أنا في طريقي إلى هناك».

كانت أفكارها مركزة على عمتها منذ أن انطلقت من المنزل. وفجأة، لاحظت أن سيارة سوداء تلحق بها منذ خمس دقائق، وأدركت ليدي أنها تعرف تلك السيارة. إنها سيارة جون! لم تعرف لِما كان جون هناك، لكنها شعرت بالسعادة لرؤيته. وما إن تمكنت من إيجاد مكان مناسب للتوقف حتى أوقفت سيارتها، فأوقف جون سيارته خلفها. أرادت أن تتوقف قليلاً لتشرح له بسرعة سبب عدم تمكنها من الذهاب إلى يورك هوس ذلك المساء فخرجت من سيارتها، وكذلك فعل جون الذي علق: «إذا كنت مشتاقة كثيراً لرؤيتي، فأنت تسيرين في الاتجاه الخاطىء».

أجابته بكآبة: «لست في طريقي إلى منزلك، فأنا لن أتمكن من الذهاب لأن..».

لم تعد تستطيع متابعة الكلام، أما جون فبدت عليه الدهشة وهو يقول:

«لن تأتي؟ لكننا اتفقنا..».

توقف عن الكلام قليلاً وقد رأى الحقيبة الموضوعة على المقعد الخلفي لسيارتها. أما هي فبالكاد تذكرت أن الحقيبة معها. إذ يبدو أنها رمتها على المقعد الخلفي من السيارة من دون وعي حين صعدت إلى السيارة لتنطلق مسرعة إلى عمتها. شعرت بالذعر وهي ترى وجهه الغاضب وهو يقول بنبرة خشنة: «لم يكن في نيتك أساساً المجيء إلى يورك هاوس خلال عطلة نهاية الأسبوع، أليس كذلك؟ وما قولك إنك تفضلين أن أبقى بعيداً عن منزلك سوى حجة لإبعادي. فقد كنت تعرفين مسبقاً، ومنذ السبت الماضي، أنك لن تكوني في المنزل حين آتي لاصطحابك».

أصابتها الصدمة وراحت ترفرف بعينيها بسبب غضبه الشديد: «لا تكن..».

رفع جون ذقنه بعدائية واضحة وقاطعها مجدداً: «حسناً، دعيني أخبرك ليدي بيرسون، لا أحد يمكنه أن يخدعني، أبداً!».

ثم سألها بنبرة ملؤها الشك: «إلى أين تذهبين؟».

لكن ليدي لم تعد تود سماع المزيد، وتمنت من كل قلبها لو لم توقف سيارتها لتخبره بأي شيء. رمت كلماتها في وجهه بعنف وغضب: «هذا ليس من شأنك».

عادت إلى سيارتها قبل أن تسمع منه المزيد. وما هي إلا لحظات حتى كانت تتابع طريقها. ياله من رجل شرير! إنه حيوان كبير!

ضغطت بقدمها على الوقود، ثم حدقت إلى المرآة لتجد أن جون لا يزال خلفها تماماً. لا بد أنها ضخمت الموضوع حين قالت له إن ذلك ليس من شأنه. فهذا الرجل الذي لا يحب أن يُخدع يجعل كل شيء من شأنه.

***

٥ ـ قلب حزين . . وغرام

وصلت ليدي إلى منزل عمتها في وقت قياسي . . وكذلك فعل جون. أوقفت سيارتها إلى جانب الطريق المحاذي للمنزل، وركن جون سيارته خلفها.

أسرعت ليدي نحو بوابة الحديقة، وإذا ببجون يسبقها ليفتحها لها، لكنها تجاهلته. في تلك اللحظة بالذات، خرجت ميريل باتلر من منزلها وأطلت من فوق السياج المنخفض الذي يفصل بين حديقتها وحديقة العمة أليس لتقول: «استدعى الطبيب سيارة الاسعاف، وتم نقل السيدة غوف إلى المستشفى. لقد أصابتها نوبة قلبية».

شعرت ليدي بخوف شديد لكنها تمكنت من الحفاظ على هدوئها: «شكراً لأنك اتصلت بي. هل تعلمين في أي مستشفى هي؟».

ما إن أخبرتها ميريل اسم المستشفى حتى شكرتها ليدي من جديد. واستدارت بسرعة لتعود أدراجها في ممر الحديقة. ظل جون صامتاً، لكنه ظل بقربها وعاد ليفتح لها البوابة من جديد. بدا واضحاً أنه أدرك كل ما حصل خلال هذه الدقيقة، فبدأ باستلام زمام الأمور.

ـ سنذهب في سيارتي.

ولم تكن لدى ليدي النية في مناقشته. استغرق وصولهما إلى المستشفى وقتاً أقل مما توقعت، ومرة أخرى تولى جون زمام الأمور، فاستفسر عن مكان وجود السيدة أليس غوف واصطحب ليدي إلى قسم العناية الفائقة، حيث تتلقى عمتها العلاج. أمضيا وقتاً طويلاً مرهقاً ينتظران في الخارج. وبالرغم

من السخط الذي شعرت به حين توقفت للتكلم معه في الطريق، إلا أنها اكتشفت أنها تشعر الآن بالسعادة لوجوده معها. ظل جون إلى جانبها إلى أن أتى الطبيب ليخبرها أن فرص نجاة عمتها ضئيلة. رفضت ليدي تصديق الأمر كرد فعل طبيعي. وسألته: «هل يمكنني رؤيتها؟».

أجاب الطبيب بلطف: «بالطبع، إنها غائبة عن الوعي، ولكن تفضلي أرجوك».

وجدت ليدي أنها تشد على يد جون بقوة. ولكنه لم يترك يدها، بل توجه معها إلى غرفة العناية الفائقة حيث ترقد أليس غوف، وقد بدت ساكنة وشاحبة. وتأكدت ليدي بنفسها من أن الطبيب قال لها الحقيقة. حاولت منع نفسها من البكاء، وتركت يد جون لتمسك بيد عمتها. بقيا معها لبضع دقائق ثم قبّلتها ليدي بعطف وعادت مع جون إلى الخارج.

ـ يجب إعلام أمي.

لم تشأ أن تقول ذلك وهي تقف بالقرب من سرير عمتها. فاقترح جون: «سأتصل بها».

هزّت ليدي رأسها باستغراب، فقد شعرت فجأة أنها تريد أن يبقى جون معها: «والداي ليسا في المنزل، إنهما يحضران ندوة، وهاتف والدتي الخلوي مقفل على الأرجح».

ـ أخبريني أين هما وسأذهب لإحضارهما.

نظرت ليدي نحوه وشعرت أنها أغرمت به: «آه، جون!».

طوقها جون بذراعيه وقال برقة: «كوني قوية حبيبتي».

ـ بالأمس . . بالأمس فقط جعلتني عمتي أضحك . . فيما كنت أغادر منزلها.

فاقترح جون: «إذن، تذكريها دوماً وهي تضحك».

ـ سأدخل لأمكث إلى جانبها. هل يمكنك الاتصال بالسيدة روس، مديرة منزلنا، وتطلب منها أن تعلم والديّ بما حدث؟

ـ بالطبع.

وصل والدا ليدي بعد الساعة الحادية عشرة ليلاً. رحّب جون بهما ثم خرج من غرفة العناية ليتمكن أفراد العائلة الثلاثة من البقاء مع المريضة بمفردهم. لكن العمة أليس توفيت عند الساعة الحادية عشرة والنصف، فودعتها ليدي ثم تركتها وغادرت غرفة العناية لتجد جون ينتظرها في الخارج. ما إن نظر إليها جون وفتح ذراعيه حتى وجدت نفسها تندفع نحوه من دون تفكير. وكانت لا تزال بين ذراعيه حين خرج والداها.

نظر والدها إلى جون، وقال: «ربما بإمكانك أن ترافق ليدي إلى المنزل لتصل بأمان».

ذهبت ليدي مع جون إلى السيارة وهي تشعر وكأنها في دوامة. تذكرت أنه كان من المقرر أن تذهب برفقة جون إلى يورك هاوس خلال عطلة هذا الأسبوع. فسألته من دون تفكير: «آه.. أنا.. هل تمانع إذا ألغيت مشروعنا لهذه العطلة».

أجابها جون: «اعتبريه ملغى».

ثم قال معتذراً: «أنا آسف لأنني تكلمت معك بهذه الطريقة حين توقفت في منتصف الطريق لتخبريني عن تغيّر مشاريعك».

فردّت: «أنّى لك أن تعلم أنني كنت في طريقي إلى منزلك حين اتصلت جارة عمتي لتخبرني أنها مريضة».

ثم التفتت إلى الطريق وقالت: «أرجوك هل يمكنك إعادتي إلى منزل عمتي؟».

ـ ألا تريدين الذهاب إلى منزلك؟

ـ أنا.. لا أرى ذلك مناسباً. ولا يمكنني شرح الأمر لك. لكنني أشعر وكأنني أتخلى عن عمتي إن ذهبت الآن إلى المنزل.

غيّر جون اتجاه السيارة ليوصلها إلى بنلاي كوربت ثم تمتم قائلا: «لطالما كنت حساسة».

الساعات الحزينة الماضية التي قضتها ليدي برفقة جون شهدت على شدة اهتمامه، لا سيّما عندما أخذها بين ذراعيه من دون أن يتفوه بأي كلمة. حين

وصلا إلى منزل عمتها سألها: «هل تنوين قضاء الليلة هنا؟».

أكدت له: «نعم».

ـ ألا تريدين صحبة ما؟

شعرت أن حبها له يزداد وقالت: «أظنني أحتاج إلى البقاء بمفردي».

بدا جون متفهماً ما جعلها تحبه أكثر فأكثر. سألها: «هل لديك مفتاح».

ـ إنه في المزهرية الثالثة إلى اليسار.

وقبل أن يبدأ جون بالبحث عن المفتاح، ظهرت ميريل بالتر وهي تحمل مفتاح المنزل الذي احتفظت به حين أقفلت الباب بعد مغادرة سيارة الإسعاف. وبعد أن أطلعتها ليدي على الخبر السيء علا الشحوب وجهها. قالت لها ليدي: «سأبقى هنا الليلة».

فقالت ميريل: «إذا احتجت أي شيء فتذكري أنني في الجوار».

قال لها جون: «أدخلي أنت إلى المنزل وسأذهب أنا لإحضار حقيبتك. أعطني مفتاح سيارتك».

أعطته ليدي مفتاحها ودخلت إلى منزل عمتها، وبعد فترة قصيرة لحق بها جون، فقالت له: «شكراً لك جون.. على.. وقوفك بجانبي».

اقترب جون منها: «هل ستكونين بخير؟».

هزت ليدي رأسها وابتلعت ريقها بصعوبة. وكادت مشاعرها تغلبها حين وضع يده على ذراعها ثم ضمها إليه بلطف. بعد خروجه، اتصلت ليدي بمنزلها. فتركت رسالة لوالديها تعلمهما فيها ببقائها في منزل عمتها، ثم جلست بعدئذ لتستسلم للبكاء.

عند الصباح، أدركت ليدي أنها لن تتمتع بعد اليوم بصحبة عمتها. ولن تسمعها وهي تسخر من والدتها ولو مزاحاً. قامت بجولة حول المنزل الصغير وهي لا تزال تشعر بوجود عمتها هناك. اتصل والداها في وقت مبكر، وطلب منها والدها أن تأتي إلى المنزل حالما تصبح جاهزة. وأعلمها أنه وأمها يعدان تجهيزات المأتم. وقبل أن يعطي السماعة لوالدتها، قال لها: «أعلم أنك كنت تحبينها كثيراً، لكن حاولي ألا تشعري بالحزن الشديد».

www.elromancia.com

تحدثت إليها أمها بصوت هادىء على غير عادتها وسألتها: «هل أنت بمفردك؟».

للحظة، فوجئت بسؤالها، لكنها تذكرت ما حدث في الأيام الأخيرة فأجابت: «نعم».

تابعت والدتها تقول بثقة: «حسناً، أعتقد أنك سترينه اليوم».

وأنهت كلامها قائلة: «كانت عمتي العزيزة ذات نفسية طيبة».

وضعت ليدي الهاتف جانباً، وفكرت في أن عليها الذهاب إلى المنزل. راحت ترتب بعض الأغراض في المنزل، لكن المنزل نفسه لم يكن يحتاج إلى ترتيب، فقد قامت بتنظيفه منذ يومين فيما كانت عمتها تقوم ببعض الأعمال في الحديقة. ابتسمت ليدي لهذه الذكرى. وعند التاسعة والنصف دق جرس الباب فتوجهت ليدي لتفتحه. إنه جون!

حدقت إليه للحظات طويلة. لقد سألت نفسها مرات عدة منذ الصباح إذا ما كانت مشاعرها نحوه مجرد تخيلات. لكن حين نظرت إلى عينيه الزرقاوين اللتين تنضحان بالإحساس، راح قلبها يخفق بسرعة ورقت مشاعرها إلى حد التأثر. في تلك اللحظة أدركت ليدي أنها لم تكن تتخيل أبداً؛ إنها مغرمة به! وحبها له راسخ وأكيد. قالت ببلاهة وهي تحاول الحفاظ على رباطة جأشها: «ظننتك في هيرتفورد شاير».

أجابها جون ببساطة: «يمكنني الذهاب في وقت آخر».

راحت عيناه المذهلتان تراقبانها: «هل بإمكاني تقديم المساعدة؟».

آه، جون! هل خطر لها من قبل كم هو شخص حساس؟

ـ اتصل والداي. سيهتمان بجميع التحضيرات.

هز رأسه ثم نظر إليها قائلاً بلطف: «هل تعرفين مكاناً قريباً، حيث يمكن لرجل مثلي أن يشرب القهوة؟».

قالت ليدي على الفور: «آه، جون. أنا آسفة. لا أدري بما كنت أفكر».

ابتسم لها بتهذيب وقد لاحظ احمرار عينيها فعذرها. ثم قال: «لابد أن أموراً كثيرة تشغل فكرك الآن».

دعته إلى الدخول وهي تشعر بالذنب.. وهو شعور أصبح مألوفاً لديها مؤخراً: «تفضل، أدخل».

توقعت ليدي أن يكون قد لاحظ عينيها اللتين كانتا تذرفان الدموع.

ـ سأعدّ القهوة.

ـ سآتي معك.

دخل إلى المطبخ برفقتها. وبعد دقائق سألها: «ستذهبين إلى المنزل اليوم؟».

أجابت ليدي: «نعم، لكن ليس الآن. عليّ القيام ببعض الأمور هنا».

ـ مثل ماذا؟

هزت ليدي كتفيها عن غير قصد، وقالت: «على أحدهم أن يوضب أغراض العمة أليس.. لكنني لا أدري أن كان الوقت مناسباً. أنت تعلم.. لقد توفيت بالأمس فقط..».

سكتت قليلاً ثم تابعت: «أنا حقاً لا أريد القيام بذلك اليوم».

ـ وهل يفترض بك أن تقومي به اليوم؟

فكرت ليدي بالأمر: «حسناً، لا أظن ذلك، فأنا أعرف عمتي أليس جيداً، وأنا متأكدة من أنها سددت إيجار المنزل حتى نهاية هذا الشهر، لذا سيكون أمامي أسابيع عدة قبل أن أقوم بتسليم المفاتيح إلى السلطة المحلية».

ـ حسناً، إذن عليك اليوم أن ترتاحي وتحاولي التكيّف مع هذا الوضع.

ـ وهل سأتمكن من ذلك؟

راح يحدثها بشكل منطقي: «لست مضطرة للذهاب إلى العمل يوم الاثنين المقبل ولأسابيع عدة. لم لا تؤجلين توضيب الأغراض إلى أن ينتهي المأتم، حتى ينتهي الوداع الأخير لعمتك؟»

ثم اقترح قائلاً: «ما رأيك بقضاء النهار برفقتي؟».

بدأ قلبها يخفق بسرعة هائلة. وكررت ما قاله بتردد: «قضاء النهار برفقتك؟».

ـ لولا الذبحة القلبية التي أصيبت بها عمتك، لكنت تقومين بذلك على أي

حال.

وافقته ليدي: «هذا صحيح».

ثم أضافت بسرعة: «لا أعرف ما الذي خططت له لنهاية الأسبوع. لكنني لا أريد حتماً قضاء أي وقت معك في السرير!».

حدق جون إلى وجهها القرمزي اللون، الذي بدا في غاية الجدية، ثم ضربها ضربة خفيفة بإصبعه على أنفها قائلاً بلطف: «حبيبتي، انتظري حتى يُطلب منك ذلك أولاً».

وعلى الفور شعرت ليدي أنها تكرهه، فقالت له بتكبر: «ستشرب القهوة في غرفة الجلوس».

ها هو يجعلها تبدو وكأنها متلهفة إلى إقامة علاقة حميمة معه..

حمل جون الصينية وشعر كلاهما بالارتياح للعودة إلى غرفة الجلوس. انتظر إلى أن جلست ليدي، ثم وضع الصينية على الطاولة إلى جانبها، واتخذ لنفسه مقعداً قريباً.

بدأت ليدي بالتخلي عن تحفظها شيئاً فشيئاً، فسألته: «إذن، ما هو اقتراحك بالنسبة لهذا اليوم».

- أي شيء تحبين القيام به، يمكننا أن نقوم بنزهة، أو نخرج لتناول الغداء، أو نذهب لحضور المهرجان.. وقد يحالفنا الحظ فنربح علبة بازيلاء في سحب القرعة.

كلامه جعلها تتخلى كلياً عن تحفظها. علمت أنه لن يقع أبداً في حبها، فقد رأت بعينيها نوع النساء اللواتي يعجبنه. وتذكرت فيربا تلك الشقراء المذهلة التي كانت برفقته في المسرح، وشعرت أن نجوم السماء أقرب من حب جون لها. فقالت بتردد: «.. أنا..».

عندئذ فقط أدركت أنها تود البقاء معه. وبالرغم من معرفتها أنّ عليها ألاّ تنجرف وراء عواطفها، إلاّ أنها تابعت: «لست في حالة تسمح لي برؤية الناس».

من المستحيل أن تذهب لتناول الغداء في مطعم من دون أن تضطر إلى وضع

نظارات شمسية لتخفي احمرار عينيها. فتابعت: «لكن، إذا كنت جدياً في كلامك، وإن كنت قد سئمت من مطاردة النساء، وتظن أنني لا أشكل تهديداً لعفتك..».

ضحك جون لاستخدامها هذا التعبير، ما جعل حبها له يعظم، ثم أكملت قائلة: «.. أو لعزوبيتك، فسأقوم بتحضير غداء لنا هنا».

- لكنك قلت إنك لست طاهية جيدة.

- لقد كذبت. يمكننا أن نحضر من البلدة ما نحتاجه.

سواء أكانت علاقتهما علاقة صداقة أو لا، بدا لليدي أنها تغيرت بشكل ما. في طريقهما إلى البلدة، شعرت أن بإمكانهما أن يتحدثا في أي موضوع مهما يكن. وبدا واضحاً، ولو لمرة واحدة، أن ثمة انسجاماً بينهما.

وفيما هما يتناولان الغداء، سألها جون عن علاقاتها بالشبان. فأجابت: «لم يكن لدي الكثير منهم».

لم يصدقها، إذ قال: «وهل تتوقعين مني أن أصدق ذلك؟».

- لقد لزمني وقت طويل كي أتخلص من خجل المراهقة.

ابتسم لها قائلاً: «هذا يجعلك شخصاً مميزاً ليدي بيرسون. حين أتيت إلى منزلكم لأطلب القرض من والدك، كنت في السادسة عشرة من عمرك. ويبدو أنك كنت على علم بسبب قدومي. وبالرغم من خجلك الشديد حاولت أن تجعليني أشعر بالارتياح وإن بأمور بسيطة جداً».

ورقص قلب ليدي فرحاً..

ثم تابع يسألها: «وماذا عن تشارلي؟».

حدقت ليدي إلى وجهه وسألته وقد شعرت بالارتباك للحظات: «ماذا عنه؟».

ذكّرها جون قائلاً: «اتفقنا على أن تقطعي علاقتك به».

أجفلت ليدي: «آه!..».

ثم هتفت تقول: «أعني أنه كان عليّ أن أتصل به».

سألها جون بتحدٍ: «وهل نسيتِ؟».

لم تشأ أن تتشاجر معه فاكتفت بالقول: «الأمر ليس مهماً».

ـ يبدو أن علاقتك به ليست جدية.

ـ وماذا عنك؟ قلت إنك سئمت من مطاردة النساء.

ـ في المرتين الأخيرتين.. إن الحديث عن العيش معاً كان يدفعني لقطع علاقتي بالمرأة.

ضحكت ليدي: «هذا ما تخاف منه إذاً!».

تجهم وجهه قليلاً: «صحيح. ليدي، جميل أن أراك تضحكين».

ساعدها جون في غسل الصحون، كما ساعدها في التخلص من اللحظات الحزينة التي كانت تقلق أفكارها بين الحين والآخر. وفي واحدة من تلك اللحظات سألته: «هل باع والدك شركة العائلة؟».

أجابها: «نعم، لقد باع الشركة بأكملها. وذلك بعد أن أخذت القرض من والدك بأربع سنوات، والدك الذي وافق بلطف بالغ على دعم مشروعي الخاص.».

وبهدف إلهائها عن حزنها تابع يقول: «لحسن الحظ، أن أخي روبرت أبدى اهتماماً شديداً يومها بشركة العائلة، إذ كان من الصعب علي أن أستمر في ذلك العمل يوماً واحداً بعد».

ـ وهكذا تمكنت من مغادرة شركة العائلة لتؤسس عملاً خاصاً بك وتجعله ينجح أيضاً.

أومأ قائلاً: «رغم أن الأمر لم يكن سهلاً على والدي».

ـ ألهذا رفض أن يمول مشروعك الخاص؟

صمت جون قليلاً. وشعرت ليدي أنه منحها امتيازاً خاصاً لأنه وثق بها وأخبرها بهذه التفاصيل. وتابع قائلاً: «في تلك الفترة لم تكن علاقتي بوالدي جيدة، لذا لم أطلب منه المال. في الواقع، حين قرر روبرت بعد فترة أن يترك هو أيضاً شركة العائلة، بدأ والدي يفكر ببعض العروض التي قدمت له مراراً. وقرر بيع الشركة. يومها لم أتوقع الحصول على المال منه».

قالت ليدي برقة: «لكنك حصلت عليه».

ـ بالرغم من وجود بعض الخلافات بيننا، إلاّ أنّ والدي كان دوماً عادلاً بيني وبين روبرت. وهكذا حصل روبرت على ربع العائدات وحصلت أنا على الربع أيضاً.

ـ وقمت بتسديد الدين لوالدي.

ـ لقد سددت له المال فقط.

أنهيا غسل الصحون ووضعا كل شيء في مكانه. قالت لجون بصدق: «سوف أعيد لك ذلك المال.. الذي أعطيتني إياه».

وما داما يتكلمان عن هذا الموضوع سألته: «هل فكرت بحل ما، غير الأقساط الشهرية التي يمكنني أن أسددها لك من راتبي؟».

أجابها برقة: «دعينا لا نتكلم في هذا الموضع اليوم، ليدي».

ابتسمت له، لكنها شعرت أن عليها أن توضح له أن والدها لم يتقبل الموضوع ببساطة. فقالت بجدية: «أريدك أن تعلم أن والدي رجل نبيل ولن يتقبل الأمر ببساطة».

أجابها جون بهدوء: «أعرف ذلك».

لكن ذلك لم يبدُ لها كافياً، فتابعت تقول: «كان يفكر في بيع المنزل، ولكن..».

بدت عليه إمارات الدهشة: «هل كان مستعداً حقاً لبيع قصر بيمهارست؟».

ـ هذا كل ما تبقى للبيع.

ـ لكن القصر ملك لأسرتكم منذ عصور!

ـ لقد أصيب والدي باليأس.

شعرت ليدي أن بإمكانها التكلم قليلاً عن الدور الذي لعبته أمها لتحول دون بيع قصر بيمهارست. فقالت: «لم يصل الأمر إلى مرحلة عرض القصر للبيع، لأن أمي عارضت ذلك بشدة».

ـ وهل تحب أمك قصر بيمهارست كما تحبينه أنت؟

اعترفت ليدي: «لا أظن. لكن أظنها تريد الاحتفاظ به من أجل أوليفر».

ـ وهل يريد أوليفر الاحتفاظ بالقصر؟ سمعت أنه يقوم ببناء منزل في غاية الفخامة في قطعة الأرض المجاورة لمنزل آل وارد واتسون.

أجابته ليدي: «إذا لم يغير رأيه بصورة جذرية، فلن يقوم بلمس بيمهارست».

وفجأة، شعرت بالخجل حين أدركت أنها أخذت الكثير من وقت جون، وأحست بالذنب لذلك. ومع أنها لم تكن تريده أن يرحل، إلا أنها قالت بسرعة: «أظن أنك ترغب بالذهاب الآن».

فمازحها قائلاً: «لا تبدئي بالتلميح يا امرأة. وتكلمي بشكل مباشر».

ابتسمت ليدي لكنها لم تعرف ماذا تقول. فسألها جون: «هل تريدين البقاء بمفردك ليدي؟».

هزت رأسها قائلة: «كلا».

فقال جون: «إذن، فلنخرج ونتمشى قليلاً».

كانت نزهتهما صامتة في غالبيتها لكن ليدي فكرت أن تسأله: «لِمَ لحقت بي البارحة؟ ظننت أنك في طريقك إلى هيرتفورد شاير».

ـ كان لدي بعض الأعمال في المنطقة، وتوقعت أن تغادري منزلك في الساعة السادسة. وفكرت في أنه من الأفضل أن نترافق، كي أرشدك إذا ما تهت. وكنت أجتاز تقاطع الطرق حين رأيتك. هل تودين أن أعتذر منك مجدداً لأنني تصرفت معك بقلة تهذيب؟

ابتسمت ليدي، وهزت رأسها. تابعا السير، وبدا جون منشغلاً بأفكاره، فيما راح حزن ليدي يزداد، لا سيّما عندما رأت ذلك المقعد قرب الكنيسة، وتذكرت أنها جلست عليه مع عمتها ذات مرة في إحدى جولاتهما المسائية. فتنهدت بأسى. أمسك جون بيدها، وسألها بلطف: «لحظة حزن؟».

أجابته ليدي من دون تفكير: «بل شعور بالذنب».

أكد لها قائلاً: «عندما نفقد شخصاً عزيزاً فكل ما يذكرنا به يجعلنا نشعر بالألم».

ـ حقاً؟

أفلت يدها وابتسم لها قائلاً: «هل تودين التحدث عما يزعجك ليدي؟».

ـ أنت تعلم.. كان عليّ أن أقوم بزيارتها أكثر مما كنت أفعل.

ذكرها بهدوء: «لكنك بقيت عندها ليلة السبت. كما قلت لي إنك رأيتها مجدداً يوم الخميس».

ـ أتيت يوم الإثنين وبقيت حتى يوم الخميس.

شعرت ليدي بالاحمرار يعلو وجهها وهي تتذكر سبب قدومها. وحين التفتت إلى جون رأت أنه ينظر إليها.. لا بدّ أنه لاحظ تغير لونها بسبب الارتباك، وعلمت أن عليها الاعتراف، فقالت: «لقد قمت بعمل فظيع».

سألها بخفة: «هل يحتمل أن يودي بك إلى السجن؟».

أجابت: «لا.. الحمد لله».

ثم تابعت: «أنا لا أستطيع التوقف عن اختلاق الأكاذيب، مع أنني لم أكن معتادة على ذلك أبداً».

ـ آه، يا إلهي. هل علي أن أشعر بالقلق؟

اعترفت تقول: «لقد.. ورّطتك معي».

لم تتغير نبرة صوته حين اقترح بلطف: «ربما من الأفضل أن تخبريني بما حدث».

فكرت ليدي للحظة ثم قالت: «كنت أنوي المجيء لرؤية عمتي يوم الثلاثاء.. من هنا يبدأ شعوري بالذنب.. لقد أتيت يوم الاثنين، لكن ليس من أجل العمة أليس. في الواقع.. أتيت يومها لأنني خشيت أن أستمر في قول الأكاذيب إذا ما بقيت في المنزل. ولهذا السبب بقيت عندها حتى يوم الخميس».

ـ خشيت الذهاب إلى المنزل؟

ـ شيء من هذا القبيل. أردت تجنب عدم السيطرة على لساني؟

بقي جون صامتاً. كان ينتظر.. وهي لم تشأ أخباره.. لكن صمت جون

حثها على قول المزيد، فتابعت: «حين اتصلت يوم الإثنين وأردت التحدث إلى والدي. حسناً.. ذهبت لأنقل إليه الرسالة بأنك اتصلت وكنت تنوي التحدث إليه. حسناً.. قبل أن أتمكن من قول المزيد، أراد أبي أن يعود إلى المنزل ليتصل بك من جديد. فأوقفته وقلت له إنك ستسافر وإنك ستكلّمه الأسبوع المقبل».

علق جون بجفاء: «حتى الآن، يبدو لي أنك لم تقولي شيئاً هاماً».

سرّت ليدي لأن هناك بعض التفاهم بينهما، لكن شعورها هذا لم يستمر طويلاً. تابعت قائلة: «بدت عليه خيبة الأمل، وقال إنه لن يتمكن من الاستمرار على هذا الحال. بدا منهك القوى، وكأنه لن يتحمل يوماً آخر.. لم أتمكن من الاحتمال، جون. أخبرته.. أن لديك اقتراحاً قد يكون فيه حل لمشكلته».

انقطعت أنفاسها وهي تتكلم. وانتظرت أن يصب جام غضبه عليها. لكن، وبدلاً من إظهار غضبه، سألها بتهذيب: «وما هو هذا الاقتراح ليدي؟ ألا يجب أن أعرفه؟».

قالت: «لم أستطع التفكر بشيء. أردت فقط أن يرتاح من التفكير بالموضوع قليلاً إلى أن تعود من سفرك وتلتقي به.. لكنني أرى أن اللقاء أصبح محتماً. كل ما أردته هو منحه فرصة ليريح رأسه المسكين قليلاً».

قال جون: «فعلاً، بدا أكثر هدوءاً ليلة أمس عما كان عليه السبت الفائت. من الأفضل أن تخبريني عما قلته له عن لساني حرفياً».

احمرت أذنا ليدي مجدداً وأجابته: «هذا كل شيء على ما أظن. عندما قلت له ذلك عاد بريق الأمل إلى عينيه. ووجدت نفسي أكذب وأكذب.. ولم أتمكن من التوقف. قلت له إنك لم تخبرني ما هو اقتراحك، لكنك بدوت واثقاً من أنه سيحل مشاكله كلها إذا ما وافق عليه».

ـ وهل صدّق ذلك؟

ـ قال لي إنه فكر كثيراً ولم يستطع إيجاد وسيلة للخروج من مأزقه. وإن كان هناك شخص يمكنه إخراجه من هذا المأزق فهو أنت.

ـ هل هذا كل شيء؟

كانا قد وصلا إلى باب المنزل من دون أن تشعر ليدي بذلك. وجدت صعوبة في التفكير، ثم هزت رأسها: «خشيت أن اندفع في قول أكاذيب جديدة إذا ما ضغط عليّ أكثر».

ـ لذا، قررت أن تختفي لبعض الوقت.

وافقت ليدي: «نعم، أتيت إلى هنا».

وعرفت أن عليها الاعتذار فقالت: «أنا آسفة جون، كان تصرفي مشيناً. لكن جزائي سيكون بعودتي إلى المنزل وانتزاع الأمل مجدداً من عيني والدي. سأعترف له بحقيقة ابنته الكاذبة».

لم تعرف ليدي إن كان جون قد قبل اعتذارها أم لا، إذ وقف يحدق إليها لوقت طويل. وتمنت لو تعرف ما يفكر فيه. وبعد لحظات، قال وكأنه يصدر تعليمات لها: «لا تعترفي له بشيء».

اتسعت عيناها وسألته بلهفة: «هل فكرت بحل ما؟».

قاطعها جون قائلاً: «اتركي الأمر لي».

ـ هل فكرت..؟

ـ ثمة فكرة بدأت تتكون في رأسي.

ـ ولكن..

حاولت أن تتكلم لكنها أدركت أنه لن يتفوه بكلمة أخرى مهما أصرت. سألته: «لست غاضباً مني، أليس كذلك؟».

منحها جون ابتسامة صغيرة، وقال: «أنت لم تتفوهي بأي كذبة ليدي من أجل نفسك، بل كنت تحاولين جعل حياة والدك أكثر هدوءاً».

حدقت ليدي إليه وقد شعرت بالدهشة لتفهمه هذا. وإذا بجون يغير الموضوع: «هل يمكنني احتساء فنجان شاي قبل أن أرحل؟».

دخلا إلى المنزل وقامت ليدي بإعداد الشاي. أنهى جون فنجان الشاي ووقف قائلاً: «من الأفضل أن أذهب قبل أن يغدو وجودي غير مرغوب فيه».

تمنت ليدي أن يبقى معها إلى الأبد، لكن عليها أن تقبل بالواقع. وهكذا،

وقفت ورافقته إلى الباب، فسألها: «هل يزعجك أن أحضر مأتم السيدة غوف؟».

قالت له بسرعة: «ليس عليك القيام بذلك».

فهي تدين له بالكثير حتى الآن.

سألها: «هل تخجلين بي؟».

ولوى فمه بطريقة جعلتها تشعر نحوه بعاطفة جيّاشة. هزت كتفيها لتخفي شعورها هذا، وقالت له: «لقد قدمت ما فيه الكفاية».

ضحك جون فأحست نحوه بشعور رائع. لكنه عاد ينظر بجدية إلى عينيها الخضراوين اللتين بدتا سعيدتين، ليقول: «حاولي ألاّ تقلقي.. سأفكر بحل ما».

حدقت ليدي إليه بصمت. وبدا أن جون لم يعد يستطيع السيطرة على نفسه، فأخذها بين ذراعيه.. وعانقها. يا له من عناق رائع! أرادت أن تتشبث به أكثر.. أن تبادله عناقه.. أن تمنعه من الرحيل! لكن شعوراً غريباً راودها. فكرت في أن هذا الرجل غريب عنها. وأن هذا الغريب الذي يضمها إليه بقوة، سيضم، على الأرجح، امرأة أخرى هذه الليلة، ما جعلها تدفعه بعيداً عنها. فقال لها: «حبيبتي، انتظري إلى أن يُطلب منك».

شعرت ليدي بقدميها ترتجفان، ووجدت نفسها تقول بصوت لم تعرفه أذناها: «حبيبي، وهل يمكنني أن أثق بأنك لن تطلب؟».

للحظات، بدا وكأن جون لا يصدق ما سمعه. ثم قال بعدئذ وهو يضحك: «ليدي، سوف تعلمين بذلك حتى من دون أن أطلب منك».

أغلقت ليدي الباب خلفه، ولم تعرف إن كان عليها أن تضحك أم أن تبكي. كان صوت قلبها لا يزال يتردد كالرعد في أذنيها فيما هي تعود إلى غرفة الجلوس.

لقد عانقها جون! وأصابتها الدهشة من عناقه، فدفعته بعيداً عنها.

***

٦ ـ صديقان أم حبيبان؟

كان المأتم هادئاً مهيباً. لاحظت ليدي أن جون حضر أيضاً، لكنه لم يتقدم ليجلس في المقاعد المخصصة للأسرة.

في ما بعد، وبعد أن وقف الجميع لتعزيتهم، تقدم منها وسألها عن أحوالها، فأجابت: «أنا بخير».

كان جون لا يزال واقفاً إلى جانبها عندما سار والدها باتجاههما. تصافح الرجلان، وسأله ويلموث: «هل ستأتي معنا إلى المنزل؟».

ردّ جون بالإيجاب. إلا أنه اقترح قائلاً: «قد نجد فرصة مناسبة للتحدث معاً اليوم».

شعرت ليدي بالاضطراب في داخلها. من الواضح أن جون توصل إلى حل ما. أجاب والدها موافقاً: «يبدو أن اليوم مناسب تماماً لنتحدث معاً».

وسمعت جون يقول: «ساعة تشاء، ويلموث».

ـ إذن أراك في ما بعد.

وابتعد عنهما وراح يتحدث إلى بقية أفراد الأسرة.

ما إن ابتعد والدها عنهما حتى سألت جون: «هل فكرت بشيء ما؟».

تمتم قائلاً: «كل شيء في أوانه».

علمت ليدي أنها لن تستطيع معرفة المزيد منه. ولكي تظهر له استياءها ابتعدت عنه واتجهت نحو ميريل بالتر، التي لاحظت وجودها للتو. شكرتها على حضورها، فأجابت ميريل: «إنه يوم حزين حقاً».

تحدثت المرأتان لبضع دقائق، قبل أن تقرر ليدي أن على جون أن يوضح لها بعض الأمور. وهكذا عادت لتنضم إليه، لكن خلال غيابها كانت قريبتها الجميلة كيتي قد وقفت تتحدث معه.

ـ كنت أقول لجون إنني رأيته في زفاف أوليفر. لكنك اختطفته بسرعة وخرجتما قبل أن نتعارف.

لطالما شعرت ليدي بالغيرة من قريبتها لثقتها الكبيرة بنفسها، وتمنت لو أن لديها القليل من هذه الثقة بالنفس هي أيضاً. ابتسمت قائلة: «آمل أن تكونا قد تعارفتما الآن».

ظلت تتصرف بشكل عادي، مع أن عينيها الخضراوين التقطتا بسهولة الرسائل الحارة. أما جون فلم يبد عليه الانزعاج حين راحت كيتي الجميلة، ترفرف له بعينيها البنيتين الواسعتين.

على أي حال، كان على الجميع أن يتحركوا في تلك اللحظة. وتحرك الموكب لمغادرة منزل أليس غوف. لم يكن لدى العمة أليس أصدقاء مقربون، لكن أفراد الأسرة سيجتمعون مجدداً في قصر بيمهارست.

ما إن تركتها كيتي حتى سألها جون: «هل تودين أن نذهب معاً في سيارتي ليدي؟».

كانت ليدي قد جاءت في سيارة والدها، فبدا لها مناسباً أن تعود إلى قصر بيمهارست برفقة جون. لذا قبلت عرضه: «سأعلم والدي بالأمر».

لكن سرعان ما اكتشفت أنها ليست مضطرة لذلك، إذ بدا أن والديها مقتنعان أنها على صلة وثيقة بجون، وأن ذهابها برفقته أمر مسلّم به.

وما إن تحركت بهما السيارة، حتى سألته ليدي: «ما الذي ستقوله لوالدي؟».

أجابها جون بحذر: «في الوقت الحاضر، سيبقى هذا الأمر سراً بيني وبين والدك».

انتفضت قائلة: «ما الذي تعنيه بقولك هذا؟ اسمع، يمكنني..».

فقال لها ساخراً: «ما بك ليدي؟ هل داس أحدهم على قدمك؟».

وكأنما عاد فتذكر أنهما قادمان لتوهما من مأتم عمتها العزيزة على قلبها، فسارع يقول: «لا أريدك أن تشعري بالمزيد من القلق.. كل ما في الأمر، أنني أشعر أن عليّ التحدث إلى والدك أولاً».

كان عليها أن تشعر بالرضى لكنها راحت تراقب. كان الأقارب قد تجمعوا في قاعة الاستقبال، فراحت تتحدث إلى بعض أفراد الأسرة وتهتم بكبار السن منهم، لكنها لم تغفل للحظة عن مكان وجود جون ووالدها. وفيما هي تتحدث إلى إحدى قريبات والدتها لاحظت أن والدها ينظر إلى جون. ومع أن كيتي كانت ملتصقة به إلا أنه لاحظ بسرعة إيماءة والدها. وما هي إلاّ لحظة حتى رأت والدها يغادر قاعة الاستقبال. وما لبث جون أن اعتذر بلباقة من كيتي وانسحب بهدوء. وأدركت ليدي أنه سوف يذهب لمقابلة والدها في مكتبه. مضت نصف ساعة قبل أن يخرج الرجلان من المكتب.

كانت ليدي تشعر بالغليان في داخلها. وكاد قلبها يقفز من مكانه حين رأت أن الرجلين يقفان معاً في باب قاعة الاستقبال. حاولت أن تقرأ تعابير وجهيهما، لكن تعابير جون لم تنبئها بأي شيء. نقلت نظرها بسرعة إلى وجه والدها، الذي بدت تعابير وجهه أكثر وضوحاً إلى حدٍ ما. مهما كان اقتراح جون، فيبدو أنه لم يجعله يشعر بالاكتئاب.

ما إن سارت ليدي قليلاً حتى حدد جون مكانها من حيث يقف، فتحرك نحوها ليقطع عليها طريقها. أجفلت ليدي، ورفعت بصرها إليه. ثم فتحت فمها لتتكلم، إلا أن جون أمسك بذراعها بسرعة وقال بهدوء: «تعالي ليدي. لنقم بنزهة صغيرة».

راحت ليدي تنظر إليه وعيناها الخضراوان الرائعتان تحاولان قراءة تعابير وجهه، لكنها لم تكتشف أي شيء.

شعرت بالتوتر أكثر من أي وقت مضى، وخرجا من المنزل ليسيرا في الممر الطويل المؤدي إلى البوابة الرئيسية، ثم ما لبثا أن أصبحا في الخارج. بدا جون مستغرقاً في تفكير عميق أكثر منه راغباً في الإفصاح عما دار بينه وبين والدها من نقاش.. انتظرت بفارغ الصبر أن يبدأ بالحديث. سارا في طريقها المفضلة،

وانتظرت إلى أن وصلا إلى ممر ضيق يطل على منظر رائع. ولم تعد ليدي تطيق انتظاراً، فتوقفت عن السير ما جعل جون يحفل أيضاً. سألته وكأنها متأهبة للقتال: «إذن؟».

لاحظت أنّ نبرتها حملت كل القلق الذي عاشته طيلة النهار. فتابعت: «حسناً، ما الذي تود أن تخبرني به؟».

لم يأت رده كما توقعت على الإطلاق. فقد جعلها تشعر بالارتباك حين استدار وراح ينظر إلى عينيها ملياً. وبعد لحظة، قال لها بوضوح: «لقد قررت.. أن الوقت حان كي أتزوج».

شعرت ليدي بالصدمة، وخالجها إحساس بالألم. فجادلته: «لكن.. قلت إنك لا تريد أن تتزوج».

وسرعان ما تمالكت نفسها، ودفعت بابتسامة إلى ثغرها: «اسمح لي أن أهنئك جون».

لا بد أنه يفكر بالزواج من فيريا، تلك المخلوقة الرائعة! لكن ألم يسبق له أن أخبرها أنه لم يرها منذ موعدهما ذاك في المسرح؟

ـ شكراً لك.

حاولت معرفة المزيد منه، فقالت: «لا بد أنك تعرف تلك المرأة منذ فترة».

أجابها جون: «يمكنك قول ذلك».

وفيما علمت ليدي أنها غير معنية بالموضوع، أضاف: «أرجو أن توافقيني على اختياري».

بالطبع لن تفعل! في الواقع، تمنت في تلك اللحظة لو أن بإمكانها أن تخنق تلك المرأة. وبالرغم من رغبتها الملحة في أن تركض بعيداً عنه لتخفي نفسها عن الأنظار حتى تتمكن من تحمل هذه الكارثة الرهيبة، إلا أنها تمكنت من السيطرة على نفسها. سألته متعمدة أن تبدو لا مبالية: «وهل أعرفها؟».

جوابه هذه المرة هز كيانها من جذوره، فقد أبعد جون نظره عنها قائلاً بإيجاز: «أنت.. أنت هي».

حدّقت ليدي إليه وهي لا تصدق أذنيها. ثم قالت لاهثة: «أنا!».

واتسعت عيناها بشدة وهي تنظر إليه: «هل أنت جاد في ما تقوله؟».

ـ لا يمكنني أن أمزح في أمر كهذا.

ـ لقد.. قلت إنك تريد أن تتزوجني.

هل هذا الصوت الذي يشبه الصرير صوتها؟

بدا جون متماسكاً، عنيداً، ومصمّماً. كل ما فيه ينبيء بأنه لن يقبل الرفض. وأكّد لها: «هذا اقتراحي».

ألأنه قرر أن يتزوج الآن، ظن أن بإمكانه أن يصوّب طلقته نحوها؟ صحيح أنها تحبه لكن.. قالت له بصلابة: «أنا لن أتزوجك».

قال جون مؤكداً: «بلى، سوف تتزوجين بي».

قالت تتحداه بنبرة عدائية: «أعطني سبباً واحداً يجعلني أوافق».

فردّ جون ببرودة: «يمكنني أن أفكر بخمسة وخمسين ألف سبب».

وفي اللحظة نفسها اختفت عدائيتها، فتذكرت معاناة والدها وأفلتت منها شهقة صغيرة. ثم حاولت استعادة صوتها: «أنت لم.. أهذا هو الاقتراح الذي قدمته لوالدي؟ هذا غير معقول».

وشعرت أن كلامها من دون معنى: «أي نوع من الحلول هذا؟ أن تتزوج؟».

دار رأسها حتى شعرت أنه يكاد ينفجر، فحاول جون إيضاح الأمر لها: «فلننظر إلى الوقائع. كلانا يعرف أن والدك رجل ذو كبرياء وأنه رجل شريف. والآن أخبريني أيهما أسهل بالنسبة إليه، أن يدين بالمال لشركة أم لأحد أفراد الأسرة، حتى لو كان هذا الشخص صهره؟».

أبعدت ليدي نظرها عنه، فهي تحتاج إلى فسحة.. إلى وقت لكي تفكر. لقد صدمها جون بتلك الفكرة. إذا تزوجته سوف يصبح فرداً من الأسرة.. ما يجعل ذلك المال مال الأسرة، ولكن..

ـ الدين هو ديني أنا، وليس دين والدي.

وكان هذا أفضل ما أمكنها أن تتفوه به، فردّ عليها جون: «والدك لا يرى

www.elromancia.com

المسألة على هذا النحو. ولا يمكنك اقناعه بالعكس».

أدركت ليدي أنه على حق، لكنها أصرّت: «لا أستطيع الزواج بك».

ـ راحة بال والدك، ألا تستحق منك ذلك؟

صرخت به قائلة: «لاتفعل بي ذلك، جون!».

ابتسم جون بلطف: «كنت أود منحك المزيد من الوقت للتفكير بالأمر ليدي. لكن والدك يتوقع عودتنا وقد علت وجهينا ابتسامات سعيدة».

حدقت إليه وقد فتحت فمها بذهول: «هل أخبرته أنك ستسألني رأيي؟».

ـ إن والدك في مأزق، وقد أجهد تفكيره ولم يجد مخرجاً. أما أنا، فأرى أن هذا هو الحل الوحيد لمشاكله. سندعه الآن يفكر بأنه يدين بهذا المال لأحد أفراد أسرته، ومع الوقت، آمل أن ينسى هذا الأمر ويتقبله. فأنا لا أرغب في استعادته أبداً.

ـ لكنك أخبرتني بنفسك أنك لا ترغب في الزواج.

ـ ألا يمكن للرجل أن يغير رأيه؟

قدّرت ليدي أنه يستطيع ذلك بالطبع: «لكن.. لِمَ أنا؟».

ـ ولِمَ لا تكونين أنت؟ بزواجي منك أجعل شخصاً أكن له التقدير، يشعر بالارتياح ويتخلص من التوتر الذي يعاني منه. فضلاً عن ذلك، سأحصل أنا على زوجة رائعة الجمال. ومما لاحظته اليوم في هذه المناسبة الحزينة، سأحصل أيضاً على مضيفة مثيرة للإعجاب.

بدأت ليدي تستفيق من صدمتها، لكنها ما زالت بحاجة إلى الوقت.. إنها تحبه.. وأكثر ما تتمناه هو الزواج به.. لكن ذلك لا يجعل الأمور أكثر صوابية.

نعم، سوف يشعر والدها بالارتياح إذا كان يدين بالمال إلى شخص يمكنه بكل سرور، أن يعتبره كابنه. لكن ذلك لا يجعل الأمور أفضل بنظرها. و..

سألها جون: «بِمَ تفكرين؟».

فقالت: «كيف تلقى والدي هذا الاقترح؟ أعني.. عندما أخبرته أن

زواجي بك سيريحه من القلق، لا أتصور أنه وافق ببساطة».

أجاب جون: «لم أكن فظاً بهذا الشكل».

ثم تابع: «مما قلته لي فهمت أن والدك يظن أننا معجبان ببعضنا البعض، وهكذا جعلته يعتقد أننا نحب بعضنا البعض، وطلبت منه أن يبارك حبنا هذا ويوافق على زواجنا».

قالت ليدي من دون تفكير: «شكراً لك على ذلك».

من الأفضل أن يقتنع والدها أنها تتزوج جون لأنها تحبه على أن يدرك أنها تقوم بذلك لكي تجنبه الشعور بالقلق.

سألها جون بهدوء: «هل أعتبر ذلك موافقة؟».

قالت بسرعة: «لا!».

ثم عادت تقول بلهجة ملطّفة: «الغريب أنك فجأة وخلال ثلاثة أسابيع فقط، غيرت رأيك بشأن الزواج. فبعد أن كنت تتهرب منه قررت أن الزواج يناسبك تماماً. كيف لي أن أعلم إذن، أنك لن تغير رأيك بعد ثلاثة أسابيع وتطلب الطلاق فجأة أيضاً؟».

ـ كيف يمكن الحديث عن الطلاق في الوقت الذي أطلب موافقتك على الزواج بي؟

ثم أكد لها بصرامة: «خيار الطلاق غير وارد مطلقاً».

لكنها شعرت أنها تحتاج إلى بعض الأجوبة من جون، فسألته بارتباك: «هل سيكون.. زواجنا.. صورياً فقط؟».

ردّ جون: «أنا رجل أحب الأسرة، وسنقوم بما يجدر بنا القيام به لإنجاب الأولاد».

غمغمت: «همم..».

عليها أن تستوضح بعض الأمور الآن. فسألته فجأة: «لنفترض.. أننا تمكنا من الحصول على المال؟».

وبدأت تشعر بالارتباك، إذ تذكرت.. هل حصل هذا كله يوم الجمعة الماضي فقط؟ تذكرت طريقته في الكلام حين غضب منها وقال لها بعدائية

واضحة: «لا أحد يمكنه أن يخدعني أبداً».

لذا تابعت تقول: «لنفترض أننا وجدنا طريقة لإعادة المال إليك. فأكون قد خدعتك بقبول زواجي بك.. وهذا لن يعجبك مطلقاً».

اتهمها جون: «أنت تحاولين التملص ليدي».

قال ذلك مدركاً مثلها تماماً أن لا أمل لديها أو لدى والدها بالعثور على خمسة وخمسين ألف جنيه لإعادة المال إليه.

ـ كما أن عليك أن تحصلي على هذا المبلغ بسرعة قصوى.

حدقت إليه ليدي: «حقاً؟».

أوما جون: «بما أنني قررت أن أتزوج، لا أرى سبباً لتأجيل ذلك».

نظرت إليه وهي تدرك أن لا أمل بأن يغير رأيه. فهذا التصميم جزء من شخصيته.. ما إن يصمم على أمر حتى يسارع إلى تنفيذه. لكنها لا يتحدثان الآن عن صفقة عمل، بل عن مستقبلها ومستقبله. أدركت ليدي أن ليس أمامها إلا الموافقة على أن تكون زوجته.. لكن وبالرغم من ذلك لم يبدُ لها الأمر صائباً. فسألته: «هل أنت واثق من أنك تريد أن تتزوج؟».

ـ واثق تماماً.

ـ وأنني أنا.. «أنا» من تريد؟

ـ لا تستهيني بنفسك ليدي، فأنت رائعة الجمال.

شعرت بقلبها ينتفض، لكنها قالت بحزم: «أنا أحاول أن أكون جدية».

ـ وهل تظنين أنني لست كذلك؟

وعادت تسأله: «وما البديل؟ أعني في ما يتعلق بوالدي، إذا.. لم أوافق على الزواج بك».

هز جون كتفيه: «ما زال والدك يعتبر أن الدين مسؤوليته. عندما تحدثت إليه منذ قليل في مكتبه، وعرضت عليه خطتي، رأيت بريق الأمل يلمع في عينيه. وكلما تمادينا في الحديث كنت أرى أمله يكبر أكثر».

ثم أضاف يسألها: «لقد اتخذت قراري ليدي، والآن هل يمكنني أن أعرف ما هو قرارك؟».

إنها تحتاج إلى مزيد من الوقت، لكن ذلك متعذر. لا بد أن والدها ينتظر وصولهما وسوف يقرأ الأخبار في وجهيهما. فهل تحتمل أن يختفي بريق الأمل من عينيه ثانية؟ إنه يثق بجون كثيراً، ويظن أنه الوحيد الذي يمكنه أن يجد حلاً لمشكلته، ومع أن والدها لن ينسى الدين، إلا أنه سيعتاد مع الوقت على أنه مدين لزوج ابنته وليس لرجل غريب.

جون.. زوجها! شعرت أن ساقيها قد تنهاران تحتها في أي لحظة لهذه الفكرة، فاستدارت نحو البوابة الحديدية واستندت إليها بقوة. وعندئذ اتخذت قرارها. استدارت من جديد إلى جون، ورفعت بصرها لتنظر إلى عينيه، ثم أخذت نفساً عميقاً وقالت: «لقد اتخذت قراري، وأنا موافقة».

أخفض جون بصره إليها، وراح ينظر في عينيها للحظات طويلة، ثم قال بهدوء: «تكفيني كلمتك ليدي».

أخذ نفساً عميقاً بدوره وكأنه شعر بالارتياح لموافقتها على اقتراحه. وخيّل إلى ليدي أن صوته تهدج وهو يقول ذلك، لكن لا بد أن هذا غير صحيح، ولا بد أن خيالها يصور لها ذلك. بعدئذ تراجع جون خطوتين، واقترح قائلاً: «من الأفضل أن نعود الآن».

لم يسع ليدي سوى الموافقة. لا بد أن والدها ينتظرهما بفارغ الصبر. وفيما هما سائران في الممر المؤدي إلى البوابة الرئيسية للمنزل تذكرت أن هذا النهار كان مليئاً بالحزن، فقالت له على عجل: «لسنا مضطرين لأن نعلن الخبر الآن.. أعني خطوبتنا.. أليس كذلك؟».

فوافقها قائلاً: «أنت على حق، فالوقت غير مناسب الآن».

قالت ليدي بنعومة: «شكراً لتفهمك».

فنظر إليها مبتسماً، ثم قال يطمئنها: «سوف نكون بخير معاً، ثقي بي».

لقد سبق لها أن فعلت ذلك، وها هي تجد نفسها عالقة في موقف لا خلاص منه. وسمعته يضيف: «عندما يرحل الجميع، سوف نخبر والديك».

كانا قد بدآ بصعود الدرجات المؤدية إلى قصر بيمهارست حين أطل والدها. بدا واضحاً أنه كان ينتظرهما فقالت ليدي: «كنت.. أجول مع جون

في طريق النزهة المفضل لدي».

وما إن نظر والدها وجون إليها معاً حتى علا الاحمرار وجهها من دون سبب. كما بدا السرور على والدها. وسمعت نفسها تقول من دون تفكير: «هل يستطيع جون أن يبقى على العشاء؟».

فأجاب ويلموث بيرسون: «يمكننا تدبر الأمر بالطبع».

وللمرة الأولى، منذ عودتها من منزل دونا، رأت ليدي والدها يبتسم. فأدركت أن قرارها بالزواج من جون هو قرار صائب.

راح الأقرباء يغادرون تدريجياً. وكانت كيتي من آخر الذين غادروا. ولكم تمنت ليدي لو تخبرها أن الرجل الذي تتوق إلى صحبته لديه خطيبة.

بعد قليل قررت أن تبدل ثيابها، وما إن وصلت إلى أعلى الدرج حتى لاحظت أن والدها وجون دخلا مجدداً إلى مكتب والدها. فكرت في أن جون سيخبره أنها وافقت على الزواج منه. وخلال تناول العشاء تأكدت من ذلك. بدا أن والدتها هي الشخص الوحيد الذي يجهل ما يجري. فقد نظرت إلى زوجها بارتياب حين قال لها: «ما رأيك لو أصبح لديك ابن آخر؟».

بدا الذهول على هيلاري بيرسون لهذا التغيّر المفاجىء في مزاج زوجها، ولم تفهم ما الذي يقصده إلا حين قال: «جون طلب يد ليدي للزواج».

ثم أضاف: «وأظن أن ليدي.. وافقت».

شهقت والدتها: «ليدي وافقت؟ سوف تتزوجين..».

أن تحب شخصاً ما يعني ألاّ تسمح لأي كان بقول أي شيء ضد هذا الشخص. هذا ما اكتشفته ليدي لتوها، لذا لم تتمالك نفسها من التدخل قائلة: «أمي، هل تجدين الأمر مفاجئاً إلى هذا الحد؟».

استعادت والدتها تماسكها بسرعة، فاستقامت في جلستها لتقول: «أنا سعيدة لأجلكما».

لكنها لم تبدُ سعيدة حقاً حين أعلن جون، أنه متلهف إلى الزواج في أقرب وقت ممكن. إذ قالت له: «تحضيرات الزواج تستغرق وقتاً طويلاً، إنها تحتاج لسنة على الأقل».

لم يستطع جون السكوت فعلق قائلاً: «يبدو لي هذا كنوع من الهروب ليدي».

ردت هيلاري بيرسون ثائرة: «أوه، لا. بالتأكيد، لا».

وفكرت مجدداً: «هل يناسبك مدة ستة أشهر؟».

فردّ جون بحزم: «ستة أسابيع على الأكثر».

وفكرت ليدي أن ستة أسابيع فترة قصيرة جداً. إلهي! ستة أسابيع فقط؟ وحطّم دفاعاتها تماماً حين قال: «سوف تحب أمي كثيراً أن تمد لك يد المساعدة».

ولم يكن بحاجة إلى قول المزيد، إذ أكدت له هيلاري: «أنا واثقة أن بإمكاني تدبر الأمر جيداً».

في ما بعد، وكما هو متوقع منها تماماً، رافقت ليدي جون إلى سيارته. قالت بتردد: «ستة أسابيع لا تبدو فترة طويلة».

فردّ جون: «أنا لا أريد الانتظار هذه المدة كلها، لكنني أقدّر وجهة نظر والدتك».

ثم أضاف وقد لوّنت الابتسامة صوته: «يمكن لوالدتك أن تتحكم بمجلس إدارة إن لم يردعها أحد».

بعد معاناة النهار كان من الجيد أن تسنح لهما فرصة عفوية للضحك. وبعد لحظة، سألته ليدي: «هل ستقوم والدتك حقاً بتقديم المساعدة لها».

ـ حاولي أن تبقيها بعيدة إذا استطعت!

وصلا إلى سيارته وفتح جون الباب لكنه لم يصعد مباشرة. بل انحنى ليلتقط من داخلها شيئاً ما. إنها علبة صغيرة. وما لبث أن فتحها وأخرج منها خاتم خطوبة من الماس هو أجمل ما رأت عيناها.

ـ هلاّ جربته لنرى إن كان مناسباً؟

إنه أمر لا يصدق! فهمست: «أوه، جون.. كنت تحتفظ به طيلة النهار».

كم هو مرهف الإحساس! لقد انتظر طيلة النهار لأن اليوم مأتم عمتها أليس. ولم يعطها الخاتم إلا الآن. في هذا الوقت كان جون قد وضع الخاتم في

إصبعها، وقال بنعومة: «تعالي».

لف ذراعيه حولها.. ولم تمانع ليدي في البقاء بقربه للحظات. لكنه سرعان ما أبعدها عنه وهم بالصعود إلى سيارته: «سيرغب أهلي في التعرف إليك. ما رأيك بأن نتناول العشاء معهم غداً؟».

إنه جاد إذن! بدا وكأنها أدركت ذلك للتو، بالرغم من الخاتم الذي وضعه في إصبعها، لكنها أجابت بتهذيب: «أتطلع شوقاً إلى لقائهم».

لزمها وقت طويل كي تتمكن من النوم تلك الليلة فقد برزت الحقيقة أمام عينيها ما إن أصبحت وحدها. هل حصل ذلك حقاً؟ هل أصبحت حقاً مخطوبة لجون ماريوت؟ راحت أصابعها تتحسس خاتم الخطوبة. إنها لا تحلم بالتأكيد. وسوف تتزوج الرجل الذي تحبه.

ومع ذلك، ما زال الأمر غير صائب. لكن إذا رفضت الزواج به، فسيتوجب عليها أن تخبر والدها عن كل الأكاذيب التي لفقتها. عندئذ سيعتقد والدها أنها وافقت على الزواج بجون فقط لأن ذلك سيجعل أحواله تتحسن.

وأدركت ليدي أن ليس أمامها سوى المضي قدماً في هذا الزواج. فبغض النظر عن عزة نفسه الكبيرة، لقد عانى والدها بما يكفي. وهي نفسها تدرك تماماً أنها تحب جون وترغب في الزواج به. لكنها لا تريد أن يحصل ذلك لأن جون قرر أن يتزوج ووجد أنها امرأة مناسبة له ولأن ذلك يساعده على رد الجميل لرجل يحترمه كثيراً.

المشكلة هي، أنها تحب جون كثيراً. لكنه لم يسمعها كلمة حب واحدة، كما أنه لم يعانقها، حتى إنه لم يفعل ذلك بعد أن ألبسها خاتم الخطوبة.

وأخيراً، تمكنت من النوم وقد شعرت بالسرور لأن أمامها ستة أسابيع لتعتاد على فكرة زواجها من جون. لكن ستة أسابيع هل هي مهلة كافية؟

في مساء اليوم التالي تناول جون وليدي العشاء مع والدي جون وأخيه. بدا والده ووالدته لطيفين أما أخوه فوجدت أنه يشبه أخاها كثيراً في شخصيته. وبدا الثلاثة معاً غاية في السرور لأن جون وجد أخيراً عروساً مناسبة.

خلال الأسابيع الستة التالية لم يكن أمام ليدي أية فرصة للتسلل إلى أي

مكان. إذ وجدت نفسها مضطرة على الدوام للتوفيق ما بين أمها وحماتها المستقبلية. فوالدتها تريد أن تتم الأمور بطريقة وحماتها تود تنظيمها بطريقة أخرى. ولحسن الحظ، أن العروسين تمكنا من حجز موعد للزفاف في الوقت المناسب في كنيسة قريبة من منزل ليدي. وأعطيت تعليمات مفصلة لمتعهدي الطعام، وتطلبت التحضيرات القيام بزيارات عدة إلى محلات بيع الزهور، كما تم اختيار الزينة وثوب العروس وأثواب الوصيفات.

لم تصدق ليدي عينيها وهي ترى والدتها تنفق الكثير من الأموال فيما هم لا يملكون إلاّ اليسير منها. حتى إنها احتجت بشدة ولمرات عدّة. وكانت تقول لها مراراً: «كفى أمي! ما هذا الإسراف؟».

فكانت أمها تجيبها: «أنت ابنتنا الوحيدة. كما لا أريد أن تظن تلك السيدة «ماريوت» أننا فقراء».

ـ لكننا لا نملك الكثير من المال!

ـ بحق السماء ليدي! سوف تتزوجين رجلاً شديد الثراء، فهل تظنين أنني ووالدك نرضى بألاّ يكون زفافك بأبهى صورة ممكنة؟

لو أن جون قريب منها لتمكنّت من التحدث إليه علّها تشعر بالارتياح. لكنه كان يمضي معظم أوقاته خارج البلاد، لإنهاء الكثير من العمل كي يتمكن من السفر برفقة عروسه مدة شهرين إلى إحدى الجزر. لكنه كان يتصل بها هاتفياً بصورة دورية.

شعرت ليدي بالسرور لتمكنها من الخروج والذهاب إلى منزل عمتها العزيزة. صحيح أن المهمة التي ستقوم بها ليست سارة، إذ ستقوم بتوضيب أغراض عمتها، لكن يمكنها أن تنعم ببعض السلام والهدوء هناك وتستغرق قليلاً في أفكارها.

عادت ليدي إلى المنزل فوجدت والدها مختلياً بنفسه في المنزل الصيفي.

كم كانت دهشتها كبيرة للتغيرات التي حلت بوالدها منذ أخبره جون أنه يريد الزواج بها. فقد عاد البريق إلى عينيه والهدوء إلى طباعه، حتى إنّ تكاليف زفافها لم تعكر صفو مزاجه المرح.

ـ أمك لديها الكثير من المشاغل، وأرى أن من الأفضل أن.. تدخلي من دون إحداث ضجة.

فهمت ليدي من كلامه أن ثمة مشكلة ما، وهي تعلم ما هي.

كانت والدتها بانتظارها، وما إن دخلت ليدي حتى بدأت تقول: «هل اتصلت بمحل الأزهار وألغيت تعليماتي؟».

ـ لم أتصل بل مررت على المحل في طريقي.

ـ مررت على المحل؟ تعلمين أننا اتفقنا على أن تكون الباقة من أزهار الزنبق...

قاطعتها ليدي: «آسفة، أمي».

لقد تصرفت ليدي بحكمة طيلة هذه المدة. فقد تركت الأمور كما تريدها أمها، كي تحافظ على الهدوء والسلام في المنزل. لكنها لم تتمالك نفسها من التدخل في ما يتعلق بباقة الأزهار. وتابعت ليدي تقول: «أنا أفضل أزهار المارغريت ذات اللونين الأبيض والوردي».

وتساءلت لما عليها أن تكون عنيدة فيما تذمرت والدتها: «الآن، بات عليّ أن أغير كل شيء!».

قالت ليدي بلطف: «الزنبق سيبدو جميلاً في كل مكان».

ولحسن الحظ أن هيلاري بيرسون غيّرت الموضوع: «اتصلت غرايس ماريوت».

واستغرق الحديث عن اتصال غرايس ماريوت وتدخلاتها في تفاصيل الزفاف عشر دقائق. وفيما كانت هيلاري بيرسون في وسط حديثها عن حماة ليدي، رن جرس الهاتف، فقطعت حديثها لتأمرها: «أجيبي أنت، فأنا منشغلة جداً».

شعرت ليدي بالسعادة لتمكنها من الهروب. إنه جون!

قالت مستفسرة: «أين أنت؟».

ـ يبدو أنك تحتاجين إليّ.

هل تسمع نبرة أمل في صوته؟ لا بد أنها تحلم! فقالت: «لقد تدبرت

أموري جيداً حتى الآن، وأعتدت ألاّ أراك إلا في مناسبات قليلة».

قالت ذلك لتنفي الارتعاشة التي شعرت بها في داخلها لسماع صوته.

ـ أتقولين إنك اشتقت إليّ؟

أجابته بقوة: «أنا بالكاد أعرفك».

كان ذلك صحيحاً. فهي لم تره سوى مرات قليلة قبل الخطوبة، أما بعد خطوبتهما فأصبح غريباً عنها أكثر فأكثر، وكأنه يتعمّد أن يزعزع هدوءها.

قال جون: «سوف نعوّض عن ذلك خلال شهر العسل».

ثم عاد يسألها: «ما الخطب ليدي؟».

أرادت أن تنكر وجود أي خطب، لكنها وجدت نفسها تقول الحقيقة: «أعتقد أنني أشعر بالتوتر بسبب الضغوطات الكثيرة».

ـ بسبب تحضيرات الزفاف؟

ـ بل لأن عليّ أن أكون عديمة الإحساس. فأنا ممزقة بين ما تريده أمي وما تريده أمك، وهما لا تتفقان على شيء. إنهما تدفعان بي إلى الجنون.

ـ هل الأمور سيئة إلى هذا الحد؟

ضحكت ليدي وبدت مستعدة للاعتذار عن مزاجها العكر، فقالت: «ليتني أستطيع أن أستلم العمل بدلاً منك لفترة من الزمن لأتمكن من الهروب بعيداً وترك كل شيء ورائي».

ـ هل أسمع في كلامك اقتراحاً ما؟

أصيبت ليدي بالدهشة وقالت: «عفواً؟».

ـ عذراً، ظننتك تقترحين أن نختفي معاً في يورك هاوس خلال نهاية هذا الاسبوع.

بدأ قلبها يخفق بسرعة وهي تقول: «هل لديك وقت فراغ هذا الأسبوع؟ ظننت أنك مشغول..».

ـ ربما يجدر بنا قضاء بعض الوقت معاً قبل زفافنا كي نتمكن من التعرف إلى بعضنا البعض أكثر.

أعجبتها الفكرة. فبهذه الطريقة، لن تبتعد وحسب عن أمها وأفكارها

التي تسبب لها التوتر، بل ستكون برفقة جون أيضاً. سألته بدورها: «آه.. هل هو اقتراح من قبلك؟».

قال جون: «إهدئي ليدي».

ثم تابع ممازحاً: «ما الذي تحاولين قوله؟».

حاولت ليدي أن تخفف من اضطرابها. كم هي سخيفة! سوف تتزوج هذا الرجل بعد أسبوعين. بدأت تقول وهي تكاد تختنق: «مبدئياً، ما كنت أحاول قوله هو أنني.. آه.. لست مستعدة لاقامة علاقة..».

ثم توقفت عن الكلام فسألها جون: «علاقة حميمة؟».

ـ نعم.

تبع ذلك لحظات من الصمت، ثم اقترح جون: «يمكننا قضاء نهاية الأسبوع دون إقامة علاقة إلا في الحدود التي تقبلين بها».

آه، كم تحبه! إنها تتلهف لرؤيته.

وفجأة، شعرت بالرهبة: «جون! هل أنا صعبة جداً؟ أنا آسفة. لعلك تشعر بالتوتر أنت أيضاً!».

لم ينبس جون بكلمة فتابعت تقول: «بما أننا سنكون معاً، فأرجو أن نتصرف كصديقين».

كادت ليدي ترى ابتسامة تعلو وجهه وهو يقول: «صديقان وحبيبان».

راح قلبها يدق بقوة فيما قال جون برقة: «لن نجمع بين الإثنين هذا الأسبوع. أتعلمين ليدي، يشرفني أن أكون صديقك».

شعرت أن كلماته تذيب عظامها حين سألها: «هل سأراك في يورك هاوس يوم السبت؟».

ثم أكمل: «سوف أتصل بك يوم الجمعة حوالى الساعة السادسة».

ولم يعد هناك المزيد، فودّعها قبل أن يقفل الخط: «إلى اللقاء».

ابتعدت ليدي عن الهاتف وهي تشعر بدوّار شديد. كادت تطير فرحاً لفكرة قضاء عطلة الأسبوع برفقته. ولم تعد تستطيع الانتظار حتى موعد لقائهما، فهي مشتاقة جداً لرؤيته. إنها تحبه بشدة!

٧ ـ لا! لن أكذب عليك

لم يأتِ يوم الجمعة بالسرعة التي تمنتها ليدي. تذمرت هيلاري بيرسون: «لا أعرف كيف تفكرين بالابتعاد عن المنزل بينما لا يزال أمامنا الكثير من الأعمال لنقوم بها».

لم تشأ ليدي أن تتشاجر مع والدتها، فأجابتها: «أمي. أنت منظمة حفلات رائعة، وقد أنهيت العديد من الأمور حتى الآن. وغيابي خلال عطلة الأسبوع لن يشكل أي فارق».

كانت تلك هي الحقيقة.

ـ هناك فستان الزفاف..

أجابتها ليدي: «سأحضره يوم الجمعة».

حين وصل جون يوم الجمعة، كانت ليدي تنتظر بلهفة للابتعاد عن المنزل. فتحت له الباب، وإذا به يقف أمامها. لم يقل شيئاً بل وقف ينظر إليها بعينيه الرائعتين. مرّت لحظات سكون طويلة راودتها خلالها أحاسيس غريبة. هل ستتزوج حقاً هذا الرجل الرائع، الكامل الرجولة، بعد أسبوعين؟ أشاحت بنظرها عنه وتراجعت قليلاً إلى الوراء، ثم قالت تعتذر عن والديها لأنهما لم يأتيا لإلقاء التحية عليه: «والداي هنا، ولكنني جاهزة».

في طريقهما إلى يورك هاوس، بدأت ليدي تشعر بالاسترخاء تدريجياً. سألها بلطف وهما في الطريق: «أما زلت متوترة؟».

قالت معتذرة: «أنا آسفة بهذا الشأن. يبدو من السخافة أن أتذمر لأنني أفضل أزهار المارغريت بينما اختارت أمي الزنبق لباقة العرس».

ـ لا، هذا الأمر ليس سخيفاً، فأنت العروس. وإذا أردت أن تحملي باقة من الهندباء، فلا يحق لأحد أن يمنعك.

ضحكت ليدي. لكم تحب هذا الرجل!

وعاد يسألها: «ما الذي تفضلينه أنت؟».

ـ أزهار المارغريت.

ـ هل أخبرتك من قبل أن أزهار المارغريت هي أزهاري المفضلة؟

ضحكت ليدي من جديد. ياله من كاذب! قالت تتهمه: «أراهن أنك لا تعرف كيف تبدو هذه الأزهار».

يورك هاوس منزل قديم لكنه جميل، مشيد على أرض خاصة وما من بيوت أخرى قريبة منه. سارت ليدي إلى جانب جون في الممر المؤدي إلى المنزل. نظر إليها قائلاً: «هيا بنا ندخل كي أريك المكان.. وبعد ذلك تخبريني إن كنت تعتقدين أنك ستكونين سعيدة بالعيش هنا».

وما إن دخلت ليدي من الباب حتى شعرت وكأن المنزل يرحب بها.

ـ هل سنعيش هنا بعد..؟

قال موافقاً: «نعم بعد أن نتزوج».

ثم حمل حقائبهما ووضعها عند أسفل الدرج الواسع والأنيق، بينما أخذ يجول بها ليريها الطابق السفلي. يورك هاوس ليس منزلاً قديم الطابع مثل منزلها، وليس فيه غرف بقدر قصر بيمهارست لكنه مجهّز بوسائل الراحة ومؤثث بأناقة. في الطابق العلوي ثمة خمس غرف مع توابعها. تنقلت مع جون من غرفة إلى أخرى إلى أن فتح باب غرفة واسعة ذات سقف مرتفع وتهوئة جيدة، فقال: «أظن أن هذه الغرفة سوف تلائمك خلال هذه العطلة».

تمتمت ليدي: «إنها غرفة جميلة».

ودخلت إلى الغرفة، فأعجبها السرير والأثاث المميز. اقتربت من النافذة ونظرت إلى الخارج، فشعرت بالسلام والهدوء. غادرا تلك الغرفة، واصطحبها جون إلى غرفته وهي غرفة النوم الرئيسية. أدركت ليدي أن هذه

الغرفة ستصبح غرفتها هي أيضاً، ما إن يعودا من شهر العسل. شعرت بجفاف في فمها فتوجهت إلى إحدى نوافذ الغرفة. وشعرت أنّ عليها أن تخبره أنها لم تعرف أي علاقة حميمة من قبل.. لكن حنجرتها بدت متصلبة، فلم تتمكن من قول أي شيء. اقترب جون منها، لكن ما إن وضع ذراعه حول كتفيها حتى تشتتت أفكارها. وسمعت صوته: «أنت ترتجفين! يا إلهي..».

وتوقف عن الكلام ليديرها كي تواجهه. بدت تعابير وجهه في منتهى الجدية، وسألها: «ليدي، هل أنت.. خائفة مني؟».

هزت رأسها على الفور: «كلا».

ثم تابعت بنبرة ملؤها الثقة: «لست خائفة منك على الإطلاق».

ابتسمت له ما إن رأت مسحة من القلق تعلو وجهه: «في الواقع، أشعر بالخجل. ظننت أنني تجاوزت هذا الشعور منذ زمن طويل، لكن..».

وتلاشى صوتها ما إن أخذها جون بين ذراعيه وضمها إلى صدره. وبحركة غريزية أسندت رأسها على صدره بارتياح. بقيا على هذا الحال لدقائق طويلة رائعة. وقال جون يطمئنها: «سنكون بخير معاً. نحن بالكاد نرى بعضنا البعض منذ خطوبتنا».

توقف قليلاً عن الكلام ثم تابع: «سوف نعوض عن ذلك خلال هذه العطلة».

ـ موافقة.

قالت ليدي ذلك ورفعت بصرها إليه. إنها تحبه! وفيما راح جون يبادلها النظرات، دنت منه أكثر، فاشتدت ذراعاه حولها. لكنها ما لبثت أن تراجعت إلى الوراء.

اقترح جون: «هل تفضلين الدخول إلى غرفتك فيما آخذ حماماً وأبدل ثياب العمل، ويمكننا بعدئذ الخروج لتناول الطعام؟».

صباح يوم السبت، استيقظت ليدي باكراً في الغرفة التي خصصها لها جون. ظلت مستلقية في سريرها وهي تفكر في جون. كانت تظن أن ليس بإمكانها أن تحبه أكثر، وإذا بحبها يصبح أكثر عمقاً، كان مرافقاً ساحراً خلال

العشاء البارحة. وما إن تذكرت الليلة الماضية حتى تذكرت أنهما تحدثا ملياً في مواضيع شتى. وقد قال جون في إحدى المرات إن أحداً لم يحمل له صينية الشاي إلى السرير منذ أن غادر منزل والديه لينتقل إلى الجامعة.

نهضت ليدي من السرير على عجل، فارتدت عباءتها فوق ثوب النوم، ونزلت إلى الطابق السفلي على رؤوس أصابعها.

لم يمض وقت قصير حتى كانت تحمل صينية الشاي بين يديها، وتصعد السلم. إلا أن فكرة مزعجة خطرت لها؛ ربما ليس عليها أن تقوم بذلك. وقفت فترة طويلة أمام باب غرفته وهي تشعر بالتردد. وأخيراً، قرعت الباب قرعاً خفيفاً ثم دخلت. استيقظ جون ثم هتف: «ليدي؟».

وأشرق وجهه بابتسامة رائعة تعكس سروره.

ـ تفضل الشاي، سيدي.

وتذكر الحديث الذي دار بينهما فاتسعت ابتسامته ثم سألها: «أين فنجانك؟».

ـ تركته في المطبخ.

اقتربت من السرير، وفيما راح جون يعدّل من جلسته لاحظت أنه لا يرتدي قميص البيجاما ما أظهر صدره العريض المفتول العضلات. حوّلت بصرها عنه لتضع الصينية على الطاولة المجاورة للسرير. كانت تود المغادرة بسرعة لكنه أمسك بمعصمها بلطف قائلاً وكأنه يحتج: «تعالي نتحدث قليلاً».

نظرت ليدي إلى عينيه الرائعتين قائلة: «أنا.. عمّ تريد أن نتحدث؟».

أجابها: «عن أي شيء».

وأفسح لها مكاناً بالقرب منه: «تعالي اجلسي هنا و..».

والتوى فمه بطريقة مضحكة: «لا تخافي، لن نتجاوز الحدود.. فلنقل إنها جلسة حميمة».

شعرت بالصدمة قليلاً لسماع كلمة «حميمة». لكنها جلست إلى جانبه.

وفي لحظة خلعت خفيّها ورفعت قدميها عن الأرض، لتجلس إلى جانبه.

لف جون ذراعه اليمنى حول كتفيها. يا لهذا الشعور الرائع!

وبالرغم من توقها لأن تقول شيئاً، إلا أن دفء ذراعه جعل الكلمات تهرب من رأسها، وإذا بجون يعلق قائلاً: «قدماك رائعتان».

نظرت ليدي إلى قدميها الصغيرتين الشاحبتي اللون، واللتين بدتا عاديتين بالنسبة إليها ثم قالت: «هذا لطف منك».

وضحكت وهي تضيف: «إنهما قدمان.. فقط».

ثم ضحكت مرّة أخرى لسخافة تعليقها. سألته بغتة: «أتراني أعجبك؟».

وعلى الفور عادت تعتذر: «آسفة، ما كان عليّ أن أسألك هذا».

ـ بالتأكيد. عليك أن تسألي. أودّ لو نتكلم في أي موضوع كان من دون ارتباك.

ثم أضاف ونبرة الابتسام في صوته: «وهل تظنين أنني قد أتزوج من امرأة لا تعجبني؟».

راحت تجاهد بكل قوتها لتتمالك نفسها. جلسا طويلاً على هذا الشكل. بقي هو تحت الغطاء الذي يغطي الجزء الأسفل من جسمه وهي فوق الغطاء. وبعد قليل تمكنت ليدي من التلفظ بأول فكرة خطرت في بالها: «ما.. ماذا سنفعل اليوم؟».

أجابها: «فكّرت بأن نذهب لاختيار خاتمي الزواج».

رددت: «خاتمي الزواج؟ هل تود أن تضع خاتم زواج أنت أيضاً؟».

ـ إذا كنت ستحملين ما يشير إلى أنك متزوجة، فمن العدل أن أفعل ذلك أيضاً.

فجأة، وبعد كل هذه الأسابيع المليئة بالتحضيرات شعرت ليدي أن الأمر بات حقيقياً. ابتعدت قليلاً عنه، ثم استدارت قليلاً لتستطيع النظر في وجهه: «سوف يحدث ذلك حقاً، أليس كذلك؟».

ـ تعنين زواجنا؟

أومأت واتسعت عيناها ما إن نظرت إليه. لقد افترضت أنه سيذكرها

بشكل قاس باليأس الذي سيشعر به والدها إذا لم يتم زواجهما. لكنه لم يفعل، وبدلاً من ذلك، ابتسم قائلاً: «حماتك العتيدة وحماتي العتيدة سوف ترسلاننا إلى الجحيم إن لم نتزوج».

جوابه جعلها تبتسم، وتلاشى كل التوتر الذي شعرت به من قبل. نظرت إليه ملياً.. إنها تحبه.. وعلمت أن عليها أن تبتعد عنه الآن. فقالت بسرعة: «من الأفضل أن أذهب».

ثم نزلت عن السرير وأرادت أن تخرج بسرعة، إلا أن يد جون أمسكت بيدها. نظرت إليه مستفسرة، فتمتم برقة: «لِمَ العجلة؟ ما رأيك بأن نبدأ نهارنا.. بعناق صغير؟».

شعرت ليدي بأن اللون اختفى من وجهها. قريباً سيصبحان زوجاً وزوجة وربما حان الوقت لتتجاوز حواجز الخجل ولتكون مستعدة لعلاقة حميمة معه. نظرت إليه وهي تغمغم: «أعتقد ذلك».

ـ أما زلت تكذبين ليدي؟

وعدته قائلة: «لا، لن أكذب عليك مجدداً. لكن..».

وبدأت ترتجف. فاعترفت بخجل: «أظن أنني أشعر بالتوتر قليلاً».

راح يحدق إليها للحظات طويلة. ثم، وكأنه شعر بارتجافها ولم يشأ أن تشعر بالتوتر بسببه، أخذها برفق بين ذراعيه: «ستكونين بأمان معي ليدي».

شعرت بأنفاسه تلفح عنقها: «لن أؤذيك أبداً».

أوه. جون! شعرت برقته، وأحست أن عناقه سمرها وشلّ حواسها. وعندما أرخى ذراعيه قليلاً راحت تنظر في أعماق عينيه..

راح جون يحدق إليها، ثم قال: «ليدي، لم يكن لديك أي علاقات مع الرجال من قبل، أليس كذلك؟».

هل يقصد علاقات حميمة؟ من المفترض أنهما هنا ليتعرفا إلى بعضهما البعض أكثر.. لكنها، ما زالت غير قادرة على إخباره عن قلة خبرتها في هذا المجال. فقالت: «أنا ذاهبة».

وقفزت عن السرير لتعود بسرعة إلى غرفتها. أخذت ليدي حماماً وغيرت

ملابسها لكنها ظلت تشعر أنها مشوشة الذهن. قد يكون من الطبيعي أن تشعر بالخجل والتحفظ إزاء الرجل الذي ستتزوج به لكن قد يتمكنان شيئاً فشيئاً من تحطيم الحواجز التي تفصل بينهما. وتذكرت عندئذ عناقه الرائع الذي ما زالت تشعر به في كيانها، فتلاشى كل شيء سواه من ذهنها.

على الفطور تناولا التوست مع القهوة، وشعرت ليدي بالسرور لأن جون كان يتصرف معها بتهذيبه المعتاد. بدت رفقته لطيفة وتمتعت ليدي بكل لحظة أمضتها في السيارة وهما ذاهبان إلى البلدة.

اختارا خاتمين متشابهين من الذهب الخالص، حملهما جون ثم غادرا محل المجوهرات ليعودا بالسيارة إلى يورك هاوس. قامت ليدي بإعداد سندويشات للغداء فيما دخل جون إلى مكتبه فأدار الكومبيوتر ليتفحص بريده الإلكتروني.

بعد تناول الغداء اقترح جون: «ما رأيك بأن نقوم بجولة في القرية؟».

وهذا ما حصل. فراحا يسيران ويتكلمان. راح قلب ليدي يمتلىء بالسعادة وشعرت بأنها تحب جون أكثر فأكثر. ربما لم تكن علاقتهما علاقة عادية، لكن جون يبذل على ما يبدو قصارى جهده لكي يبدآ حياتهما بداية صحيحة.

تناولا العشاء في الخارج تلك الليلة أيضاً. كان لدى جون مدبرة منزل تعمل بدوام جزئي لكنه طلب منها البقاء بعيداً لهذا الإسبوع.

قال لها: «لا شك أنك تودين أن تديري المنزل بطريقتك الخاصة بعد عودتنا من شهر العسل. لكن السيدة ألين لن تتوانى عن مد يد المساعدة لك حين تشائين».

ردت ليدي: «السيدة ألين تقوم بعملها بشكل ممتاز. لكني سأكون مسرورة بأن أناقش بعض الأمور معها».

وشعرت بالامتنان لجون فهو يحاول أن يجعلها تنتقل من دور الابنة إلى دور سيدة المنزل في منزلها الخاص.

عادا إلى يورك هاوس بعد العشاء. وفيما هما يرتاحان في غرفة الجلوس سألها: «كيف تشعرين الآن؟ كنت تشعرين بالتوتر عندما اتصلت بك

بالأمس».

فردّت: «من المدهش أن تؤثر فترة أربع وعشرين ساعة في المرء إلى هذا الحد، كنت بحاجة إلى الابتعاد لبعض الوقت».

ثم نظرت إليه وهي تبتسم: «إذا ما ارتحت أكثر من ذلك فسوف أتعود على ذلك».

لكن ليدي سرعان ما تذكرت أنه تفحص بريده الالكتروني قبل الغداء فقالت: «إذا كان لديك بعض الأعمال، فلا تدعني أعيقك..».

قال يتهمها: «أنت تحاولين التخلص مني».

ـ هذا غير صحيح.

لكنها شعرت بالذنب لأنها تستأثر به لوقت طويل. فقررت الخلود إلى النوم وقالت: «أظنني سآوي إلى الفراش الآن».

لكنها ندمت على تلفظها بهذه الكلمات، لأن جون لم يجادلها. انتصبت واقفة على قدميها وتبعها جون. سار معها حتى باب غرفتها، وبدلاً من أن يفتح لها الباب وقف هناك ينظر إليها. وأدركت ليدي أنه سيعانقها بصفته خطيبها. اقتربت منه وهي تقول: «تصبح على.. خير».

وراح قلبها يخفق وهي ترفع رأسها نحوه، فأحنى جون رأسه يعانقها. ثم قال لها بوقار: «تصبحين على خير».

وفتح لها الباب بسرعة لتدخل إلى غرفتها.

أخذت حماماً آخر قبل أن ترتدي ثياب النوم ثم صعدت إلى السرير. سوف تكون علاقتها بجون على ما يرام. إنه لطيف، ويراعي مشاعرها مع أنه لم يقل إنه يحبها.. ولكن هل لذلك أهمية؟ وإذا كان للحب أهمية فعلاً فماذا بعد؟ سيتزوجان على أيّ حال. عليها أن تتزوج جون، إن لم يكن من أجلها فمن أجل والدها. استسلمت إلى النوم وهي تفكر في أنها حين تتزوج جون عليها أن تحرص على ألاّ يكتشف أنها تحبه. فمع الوقت، قد يهتم جون لأمرها. لكن ما إن تذكرت نوع النساء اللواتي يجذبنه.. حتى خبت شعلة الأمل التي اشتعلت لتوها. قد يبدو جون سعيداً باختيار امرأة بسيطة لتكون أماً لأولاده، لكن لا

شك أنه يفضل امرأة مثل فيريا لتكون رفيقته الدائمة. هذه الأفكار المزعجة أرّقتها جزءاً طويلاً من الليل ما جعلها تتأخر في النوم صباحاً. استيقظت فجأة لتجد جون في غرفتها، وقد وضع كوباً من الشاي على الطاولة المجاورة لسريرها. وعلى الفور، شعرت بالسعادة تغمرها وراحت تجاهد لتجلس في السرير وهي تهتف: «ظننت أنك تحب الاستغراق في النوم صباح يوم الأحد!».

ابتسم لها ابتسامة عريضة وقال: «تذكرين ذلك؟».

ثم تابع: «ظننت أنه يتوجب عليّ أن أردّ لك مجاملتك».

راح قلب ليدي يرقص بهجة. قال جون بلهجة آمرة: «أفسحي لي مكاناً».

تنحت قليلاً لتفسح له مكاناً إلى جانبها. فجلس على السرير في مواجهتها ثم سألها: «هل نمت جيداً؟».

فردت من دون تفكير: «كما ينام الطفل الصغير».

وانتبهت في تلك اللحظة إلى رجولته الفيّاضة، فقالت بغتة: «يبدو أنه سيكون نهاراً جميلاً».

ـ هذا يذكرني بأن عليّ أن أعود إلى لندن بعد ظهر اليوم. يمكننا أن نمضي صباحاً متكاسلاً ثم نتناول الغداء ونحن في طريقنا إلى منزلك.

ـ حسناً.

ـ سوف أكون منشغلاً طيلة الأسبوعين القادمين وقد لا أتمكن من رؤيتك بسبب ضغط العمل. لكن إذا واجهتك مشكلة ما، فاتصلي بمساعدتي الشخصية. إنها تعرف كيف تجدني فتتصل بي.. إذ سوف أتنقل بين بلدان عدة».

شعرت ليدي بالأسف فقالت: «أظن أن أمي ستقوم بمعظم الترتيبات».

سألها جون: «ماذا هناك عدا عن باقة الأزهار؟».

ـ لائحة المدعوين مثلاً. تقول أمي إنها تريدها مختصرة لكنها لا تكف عن إضافة أسماء جديدة. ويبدو أن أمك تفعل الشيء نفسه.

ـ لا أشك في ذلك.

جوابه هذا جعل ليدي تدرك أنها ليست الوحيدة التي تعاني من طباع الأم ومضايقاتها. وبالرغم من ذلك تجهم وجه جون فجأة وهو يقول: «أطلعتني أمي على لائحة المدعوين التي أرسلتها أمك».

وتهدج صوته قليلاً فأدركت ليدي أن ثمة خطباً ما، حتى قبل أن يقول: «لم أكن أريد مناقشة هذا الموضوع.. لكن طالما أننا نتكلم عن المدعوين، من هو تشارلي هيليار الذي تنوين دعوته لحضور الزفاف؟».

حدقت ليدي إليه ثم ردت بعناد: «أنت تعرف تماماً من هو».

ـ لكننا اتفقنا على أن تقطعي علاقتك به.

احتجت قائلة: «إنه صديقي وشقيق دونا، وأنا لم أوافق أبداً على قطع علاقتي به و..».

قاطعها جون بنبرة عدائية: «لقد كان حبيبك في ما مضى».

ردت نافية بحدة: «إنه ليس حبيبي».

ـ بل كان كذلك!

شعرت بالغضب الشديد وردّت بسرعة: «لا، لم يكن كذلك يوماً!».

التمعت عينا جون بلون أزرق داكن وقال: «كنت تخرجين معه».

أصابتها الدهشة. سألته: «من أخبرك بذلك؟».

رفع ذقنه بعدائية وأجاب بلهجة فظة: «أنت أخبرتني بذلك».

قالت تتحداه بنبرة عدائية كنبرته: «متى؟».

ـ لقد رأيتك معه في المسرح وأنت قلت إنك تخرجين معه.

شعرت ليدي بشيء من الارتباك ما إن أدركت أن جون يظن أنها وتشارلي كانا على علاقة حميمة. لكن كبرياءها أبت عليها أن تتراجع.

ـ ما دمت تذكر ذلك فلا بد أنك تذكر أيضاً أنني أخبرتك يومها أن الجميع يسيء فهمي دائماً!

راح جون يتأملها، وبدت تعابير وجهه جدية: «هل تريدين أن تقولي إنك لم تكوني على علاقة حميمة به؟».

ردّت: «لقد زرت تشارلي مراراً وخرجنا معاً..».

وبالرغم من الحب التي تكنه لجون فإن هذا الحديث أزعجها. قالت له بوهن: «أعرف أنك تريد أن نتحدث في كل المواضيع من دون ارتباك، لكنني لست سعيدة بهذه المحادثة على الإطلاق».

بدت نظرات جون قاسية وسألها باقتضاب: «أخبريني الحقيقة ليدي بيرسون، هل تشاركتما السرير معاً؟».

سؤاله جعلها تشعر بالاستياء. لقد ظنت أن هذا النهار سيبدأ بداية رائعة.. فما الذي جعله ينقلب بهذا الشكل الفظيع؟

ـ ما حصل قبل خطوبتنا ليس من شأنك.

ثم أكملت بغطرسة واضحة: «وأريدك أن تخرج من غرفتي حالاً».

صر جون على أسنانه وقال بنبرة جليدية: «سأخرج ما إن أقرر ذلك».

بالرغم من حبها له، تمسكت بكبريائها. فقالت تتحداه بغضب: «وعلى أي أساس ستقرر ذلك؟».

ـ على أساس أنك لن تري في الكنيسة يوم زواجنا، بعد أسبوعين، أي امرأة كنت على علاقة بها. وأظن أن اللباقة تقضي بأن تعامليني بالمثل.

تلاشت كل حججها أمام تصريحه. إنها مسألة كبرياء! فهو يملك من سمو الأخلاق ما يجعله يجنبها أن تصافح أي امرأة عرفها. وسمو الأخلاق يقضي أيضاً بألاّ يضطر إلى مصافحة أي رجل كانت على علاقة معه.

وأخيراً اعترفت قائلة: «أنا وتشارلي لم نكن يوماً حبيبين. فتشارلي مجرد صديق لي.. كما قلت لك من قبل».

أصبحت تعابير وجهه أقل عدائية، لكن لم يبدُ عليه أنه اقتنع تماماً: «أنت امرأة في غاية الجمال ليدي».

ثم تابع وكأن هذا هو الاستنتاج المنطقي للأمور: «هل يعاني صديقك هذا، تشارلي، من مشكلة ما في علاقاته مع النساء؟».

كادت ليدي تخبره عن طبع تشارلي الخجول، لكنها غيّرت رأيها. راح جون يحدق إليها وقد حملت نظراته معنى آخر، وسألها: «أم أنك أنت من يعاني

من مشكلة؟».

ـ و.. ماذا؟

ألحّ قائلاً: «هل تواجهين مشكلة في إقامة علاقة جسدية طبيعية؟».

وبما أنهما على وشك الزواج بعد أسبوعين، وجدت ليدي أن هذا السؤال عادي. وراحت تنظر إلى غطاء السرير ثم أجابت بسطحية: «لا.. لا أعلم».

ساد الصمت بينهما للحظات، فيما لم تستطع ليدي أن ترفع بصرها عن غطاء السرير. إلا أنها شعرت بأن جون اقترب منها أكثر ليمسك بيديها ثم سألها بهدوء: «أنت لا تعلمين؟».

وعندما لم تستطع أن تحرك لسانها لتجيبه، تابع يقول: «أعرف أنك تشعرين بالارتباك، وأنك تقاومين بشجاعة شعورك بالخجل. لكنني أعتقد بصدق أن علينا أن نبحث هذا الأمر معاً».

همست ليدي: «أعرف أنك على حق. و.. أردت أن أخبرك بالأمر لأنك.. لأنك يجب أن تعلم..».

وقطعت جملتها وقد شعرت بحرارة في أذنيها، فسألها جون: «أعلم بماذا؟».

تلاشت آثار العدائية كلها من نبرة صوته، وضع يده تحت ذقنها ورفع وجهها لكي تنظر إليه، وعاد يسألها: «ما هو الأمر الذي علي أن أعلم به؟».

أمام نبرته المستفسرة تلك، شعرت ليدي أنها تزداد احراراً حتى تكاد تشتعل. إلا أنها وجدت الشجاعة لتقول له: «لاأدري إن كنت أعاني من مشكلة في إقامة علاقة حميمة، لأنني.. لم.. أجرب.. ذلك.. من قبل».

ذهل جون لجوابها. ثم غدت نظراته أكثر دفئاً وهو يهمس: «ليدي الحلوة! هل تعنين أنك لم تقيمي أيّ علاقة حميمة مع أي رجل من قبل؟».

ـ هل يجعلني ذلك غريبة الأطوار؟

ابتسم جون وأجابها: «بل يجعل منك امرأة مميزة».

وراح ينظر إليها طويلاً وقد غدا مزاجه أكثر مرحاً، ثم تساءل قائلاً: «اتفقنا على ألا نتمادى كثيراً في علاقتنا خلال هذه العطلة، لكن أظن أن التقرب

قليلاً من بعضنا البعض ليس أمراً سيئاً».

تلعثمت ليدي وهي تقول بعصبية: «أوه.. ج... جون».

طمأنها جون: «ليس عليك أن تقلقي.. لن أؤذيك».

وظهرت تلك الابتسامة على جانبي فمه وهو يسألها: «ألم نتفق على بدء نهارنا بعناق كتحية صباحية؟».

ابتلعت ليدي ريقها: «يبدو أنك أنت من نسي ذلك».

وسمعته يضحك بخفة. وما هي إلا لحظة حتى كانت بين ذراعيه. بدأ عناقه لطيفاً، وشعرت بدفئه وهو يضمها إلى صدره بحنان. رفع جون رأسه وراح ينظر في أعماق عينيها الخضراوين، فلم يجد فيهما أثراً للخوف. لكن خجلها بدا واضحاً وهي بين ذراعيه. ثم أصبح عناقه أكثر قوة ما جعلها تجفل قليلاً. لكن ما إن فكرت بأنها تحب هذا الرجل حتى عادت وارتاحت لعناقه واقتربت منه أكثر.

شعرت ليدي أنها تذوب في دوامة من المشاعر امتزج فيها الحب والحنان مع الشعور بالخجل، ما جعلها تدفعه بلطف بعيداً عنها. وعلى الفور نظر جون إلى عينيها، ثم سألها: «أما زلت غير مستعدة لعناقي ليدي؟».

فأجابت بصدق: «أنا أشعر فقط.. حسناً.. أشعر ببعض.. التشوّش».

أخذت نفساً مرتعشاً ثم نظرت إليه وقد شعرت أن قلبها ممتلىء بحبه. ثم دفن رأسه في شعرها الأسود. لم تشعر ليدي بمثل هذه السعادة من قبل. وعاد جون ليرفع رأسه وينظر في عينيها ويسألها: «هل أنت خائفة مني ليدي؟».

تمتمت وهي مشوّشة الذهن: «سأخبرك إذا ما شعرت بالخوف».

أطلق جون ضحكة لطيفة وقربها منه أكثر. فراح قلب ليدي يخفق بقوة حتى خشيت أن يسمع جون ضرباته. اشتدت ذراع جون حولها وكأنه لا يريد أن يفلتها. أجفلت ليدي وابتعدت عنه قليلاً. وعلى الفور أرخى ذراعيه ونظر إليها بجدية ثم سألها: «هل أخفتك؟».

هزت رأسها قائلة بصدق: «أظن أنني غريبة الأطوار، أليس كذلك؟».

تنفس جون بارتياح وقربها منه من جديد: «حبيبتي».

ثم سألها: «هل ترغبين بي؟».

ثم أضاف كي يساعدها: «إذا كنت لم تلاحظي ذلك، فأعترف بأنني أرغب بك كثيراً، عزيزتي».

ومرة أخرى، كادت تعترف له بحبها لكنها عادت وتراجعت.. فهو لم يسألها إن كانت تحبه.

ردت بخجل: «أعترف أنني أستمتع بعناقك.. ولكن..».

راح جون يضحك ضحكة جذلة ثم أخذ نفساً وقال: «كم أنت رائعة ليدي».

لم يكن ذلك إعلان حب، لكن وقع كلماته كان موسيقياً في أذنيها. نظر جون إلى عينيها قائلاً: «علينا التوقف الآن قبل أن نقع في ورطة كبيرة. من الأفضل أن أذهب».

ثم خرج من الغرفة.

عندما التقيا في المطبخ، لم تشعر ليدي بأي ارتباك بسبب اللحظات الحميمة التي قضياها معاً. ومع أن ليدي دهشت لقدرته على السيطرة على نفسه تماماً حيث قام بإعداد القهوة والتوست وتحدث إليها بشكل عادي، إلا أنها اكتشفت في ما بعد أنه لم يكن متماسكاً تماماً كما يبدوعليه، إذ اقترح: «تعالي نخرج في نزهة».

ذكرته قائلة: «ظننت أنك تفضل قضاء صباح متكاسل في المنزل».

تمهل قليلاً قبل أن يجيبها. وراح يتأملها ثم قال: «هذا ما كنت أنويه، لكن بعد تجاوبك معي بتلك الطريقة لم أعد أستطيع تمالك نفسي».

حدقت ليدي إليه وراح قلبها يتخبط من جديد، وسألته: «أتراني سمعت جيداً ما قلته؟».

وشعرت بالارتباك لعلمها أنه لا يستطيع إبعاد يديه عنها. فغمغمت: «كل شيء في أوانه».

علا الاحمرار وجهها، وبدا أن ذلك يمنحه البهجة. ولأنها تعلم أنّ من

المحتمل ألا تراه ثانية قبل وقوفهما في الكنيسة بعد أن تودعه اليوم، لم تشعر ليدي بقابلية لتناول الغداء. كما أن جون لم يتناول إلا اليسير من الطعام.

وصلا إلى قصر بيمهارست فدخلا معاً إلى المنزل ليلقيا التحية على والديها. وفيما اندفعت أمها تخبرها بحماسة عما أنجزته من تحضيرات ليوم السبت القادم، رأت ليدي أن جون ووالدها غارقان في حديث وهما يجلسان في الناحية الأخرى من الغرفة. ثم رأتهما يتصافحان، فغار قلبها في أعماق صدرها، إذ أدركت أن جون على وشك الرحيل. اقترب الرجلان بتمهل منها ووالدتها. ومع أن ليدي لم تكن قد سمعت حديثهما إلا أنها لاحظت أنهما يبدوان صديقين متفاهمين، مما يعني أن كل شيء سيكون على ما يرام. لكن.. جون يوشك أن يغادر وهي لا تريده أن يذهب. وشعرت بالألم يعتصر قلبها.

جاء صوتها متصلباً إلى حد بعيد حين أعلنت: «جون لديه عمل عليه إنجازه».

فقالت هيلاري بيرسون: «ألن تبقى لتناول العشاء؟».

وشعرت ليدي بالسرور لأن أمها تمكنت أخيراً من إظهار جانب من طبيعتها الدافئة لجون.

ودّع جون والدتها بانحناءة احترام، ثم صافح والدها مرة أخرى. شعرت ليدي أنها تريد أن تركض هاربة من الغرفة لتبقى في غرفتها إلى أن تراه ثانية، لكن جون بادرها: «ألن ترافقيني إلى الخارج ليدي؟».

تركا والديها في غرفة الاستقبال، وفكرة واحدة تسيطر على رأس ليدي، «لاتذهب، لا تذهب». وخشية أن تفلت منها هذه العبارة، فلا تستطيع بعدئذ السيطرة على مشاعرها، ابتسمت له ما إن اقتربا من سيارته لتقول: «أتمنى لك رحلة موفقة».

استدار جون وأخفض بصره لينظر ملياً في عينيها الخضراوين الواسعتين: «تذكري ما قلته لك، إذا ما واجهتك أي مشكلة أو أزعجك أيّ أمر على الاطلاق، فاتصلي بألين وهي تعرف كيف تتصل بي».

ردت ليدي: «سوف أتذكر ذلك».

ولكي تظهر له أنها لا تشعر بالانزعاج لأنها لن تراه إلا بعد أسبوعين، موعد زفافهما قالت: «لاتفعل أشياء تعرف أنني لن أقوم بها أنا».

ـ هذا يعني أن ألتزم حدودي ولا أنظر إلى امرأة سواك.

وضحكت ليدي فقال لها: «تبدين أجمل بكثير عندما يشرق وجهك بالبهجة».

فقالت تحته بشموخ: «لذا عليك أن تعانقني مودعاً».

اقترب جون منها ثم أخذها بين ذراعيه وراح يتأمل عينيها ملياً، قبل أن يسألها: «هل تظنين أني سأغادر من دون معانقتك؟».

ثم انحنى ليضمها أكثر إلى صدره، فراح قلب ليدي يتخبط بين ضلوعها كالمعتاد. أرادت أن تتوسل إليه أن يأخذها معه.. لكن، لم يكن الحب ما يجمع بينهما، وسوف يظنها مخبولة إن فعلت ذلك.

أفلتها جون من دون أن يقول أي كلمة. إلا أنه نظر إليها بصمت للحظات، قبل أن يصعد إلى سيارته وينطلق بها بعيداً.

سارت ليدي عائدة إلى المنزل والدموع تملأ عينيها. إنها تحبه حباً جماً.. وسوف تمر ثلاثة عشر يوماً بأكملها قبل أن تراه ثانية.

في الأيام التالية، راحت ليدي تتمنى لو أنها ترى جون أو تسمع منه شيئاً، لكن أسبوعاً مر من دون أن يتصل بها. ظلت منشغلة طيلة الأسبوع وشعرت بالسرور بذلك، فقد أحسّت أن سنوات ضوئية مرت منذ ذهابها إلى يورك هاوس برفقة جون. هل تبادلا العناق بتلك الطريقة حقاً؟ هل تقوم بخطوة صائبة بزواجها منه؟ وما هو البديل إن لم تفعل؟ وتذكرت والدها، تذكرت وجهه الباسم السعيد. إن لم تتزوج بجون فهي تعلم ما هو البديل؛ سوف يعود والدها إلى حالته السابقة.. وهذا ما لا يمكنها احتماله.

مرّ الأسبوع التالي ببطء شديد. يوم الثلاثاء قامت ليدي بتوضيب ملابسها كي تصبح جاهزة للانتقال إلى يورك هاوس. كما جهزت حقيبة الملابس التي

ستأخذها معها حيث ستمضي شهر العسل.

يوم الأربعاء، وقبل ثلاثة أيام من زفافهما، بدأت ليدي تشعر بالتوتر كما ساورها قلق شديد. عندما تلقت مكالمة هاتفية من جون، سألته بنبرة متوترة: «أين أنت الآن؟».

ـ في السويد.

ـ ومتى ستعود؟

ـ تبدين متوترة الأعصاب ليدي.

ـ أنا آسفة. أعلم أننا لسنا متيمان ببعضنا البعض كما يكون الخطيبان في العادة...

ليس من جانبه على الأقل! وتابعت: «لكنني أظن أنني أمر بفترة التوتر التي تمر بها العروس عادة..».

ثم سألته بقلق: «سنكون بخير معاً جون، أليس كذلك؟».

ـ أنت تعانين.. لكن، أعدك أننا سنكون بخير.

ردت من دون تفكير: «ليتك كنت هنا».

ثم شعرت بالندم لأنها تفوهت بهذه الكلمات فأضافت بسرعة: «لدي الكثير من الأغراض التي علي أن أنقلها إلى يورك هاوس».

ردّ جون: «كان عليّ أن أفكر في ذلك. على أي حال، مدبرة المنزل سوف تكون هناك غداً فيمكنك أن تذهبي إذا شئت. سوف أتصل بها لتعطيك مفتاحاً.. إنها تحتفظ دوماً بمفاتيح إضافية».

ـ أنا.. مم..

اللعنة، لماذا ينعقد لسانها عندما تتحدث إليه؟

عندما تعثرت بالكلام قال جون يطمئنها: «سوف نكون على أتم ما يرام ليدي. أعدك بذلك».

ورغم ذلك، لم تفارقها التعاسة: «حسناً. أ.. أراك يوم السبت إذن».

وعندما لم تجد شيئاً آخر تقوله تابعت: «إلى اللقاء».

ثم وضعت سماعة الهاتف جانباً.

سوف تصبح امرأة متزوجة بعد ثلاثة أيام فقط. . وكل ما تتمناه هو أن تتمالك أعصابها حتى ذلك الوقت.

***

٨ ـ حبيبتي مخادعة!

جاء يوم السبت وما زالت ليدي تشعر بالتوتر. لم تكن لديها أي فكرة عمّا ستكون عليه حياتهما معاً، لكنها ستبذل قصارى جهدها لإنجاح هذا الزواج.

استيقظت في الصباح الباكر، ولم يخطر ببالها أنها سوف تتناول إفطارها في السرير. لكن، يا للمفاجأة غير المنتظرة! هيلاري بيرسون بنفسها دخلت إلى غرفتها وهي تحمل صينية الفطور بين يديها. أذهلتها المفاجأة فسارعت تقول: «ليس عليك أن. . .».

فقالت أمها معترضة: «بل عليّ القيام بذلك. إنه يومك المميز. لقد أحضرت لي أمي الفطور إلى السرير يوم تزوجت والدك».

ـ أ. . .

وتوقفت عما كانت ستقوله.

ـ كيف تشعرين؟

اعترفت ليدي: «لست واثقة بعد».

ثم أضافت بصدق: «أشعر أن عليّ أن أقرص نفسي لأصدق أنني في كامل وعيي وأن ما يحصل حقيقي».

ابتسمت والدتها: «هذا أمر طبيعي».

ولدهشة ليدي تابعت أمها تقول: «أنا آسفة إذا ما شعرت في بعض الأحيان أنني قسوت عليك. لكننا مررنا بأوقات سيئة للغاية».

قالت ليدي مبدية تعاطفها: «لا بد أنني بدوت أنا أيضاً رهيبة في تلك الأوقات».

أقرّت والدتها: «إن الصعوبات التي.. مررنا بها أوشكت أن.. تهدد زواجنا».

ثم ابتسمت مبدية امتنانها وهي تتابع: «لكن بفضل جون أصبح كل شيء على ما يرام».

ـ هل تقصدين ذلك الشيك الذي أعطاني إياه؟

ـ أنا ممتنة له جداً ليدي.

ثم ابتسمت مرة أخرى: «إنه لا يملك فكرة عن الصداع الذي سببه لي حين أمهلني ستة أسابيع فقط لإنهاء التحضيرات كلها».

ـ لقد عملت بجهد كبير، وأنا شاكرة لك ذلك.

أجابتها هيلاري بيرسون بلهجة لا تخلو من التوبيخ: «لا أريدك أن تشكريني. أنا هنا من أجل ذلك. والآن، تناولي فطورك ثم انزلي بسرعة إلى الطابق السفلي..».

بعد تلك التضحية، غادرت والدتها الغرفة. وأدركت أنها تحب والدتها بالرغم من لسانها السليط في بعض الأحيان.

حاولت ليدي أن تحتج على التكاليف التي أنفقت على زفافها.

لكن حين أبدت اعتراضها قيل لها إنها تسبب الإزعاج وطلب منها بحدة ألاّ تتدخل ثانية في هذا الأمر.

موعد زفافها في الساعة الثانية من بعد الظهر. وفي حين رغبت ليدي في ملازمة غرفتها، إلا أنها اضطرت لأن تنزل إلى الطابق السفلي لتنضم إلى أقربائها.

دونا كانت الوحيدة من بين وصيفاتها التي لم تمض الليلة في منزلهم، وقد حضرت عند الظهر برفقة نيك والولدين. صعدت بمفردها إلى غرفة ليدي، وما إن رأت فستان الزفاف المعلق في إحدى زوايا الغرفة حتى هتفت: «يا له من فستان رائع!».

بدا تصميم الفستان مميزاً. وليكتمل ثوبها سوف تضع على رأسها طرحة طويلة سيتم تثبيتها في شعرها بواسطة تاج مرصع بالماس واللؤلؤ هو إرث

للأسرة أعارتها إياه عمتها.

شعرت ليدي أنها لم تعد تطيق صبراً لرؤية جون، وتمنت من كل قلبها أن ينتهي هذا اليوم بسرعة، إذ لم تعد أعصابها تحتمل أكثر.

جلست أمام منضدة الزينة، وعينان خضراوان عنيدتان تحدقان إليها. ما هي إلا ساعة وتصبح السيدة ماريوت.. شعرت بالارتعاش يسري في كيانها لهذه الفكرة.

وعند الواحدة والنصف، دخلت وصيفاتها الأربع إلى الغرفة. سألتها كيتي الجميلة بعد أن راحت تدور مظهرة فستانها الرائع التفصيل: «كيف نبدو؟».

ـ جميعكن رائعات.

فقالت دونا: «والآن جاء دورك ليدي».

رفعت ليدي شعرها الأسود الداكن كالليل على شكل تاج فوق رأسها ووضعت القليل من مساحيق التجميل على وجهها فأصبحت جاهزة لارتداء فستانها. ولم يبق عليها سوى أن تضع التاج المرصع بالماس على شعرها الملتف فوق رأسها.

بعد أن ساعدتها دونا في تجهيز نفسها، شعرت بالارتباك لسماعها تقول: «هل عليّ القيام بذلك؟».

أجابت دونا وقد شعرت بميل إلى البكاء: «ليدي. تبدين مثيرة».

وهكذا رأتها هيلاري بيرسون حين دخلت إلى الغرفة بعد دقائق.. فما إن رأت ابنتها في ثوب عرسها حتى هتفت: «عزيزتي، كم تبدين رائعة!».

فقالت ليدي بخفة: «وأنت أيضاً».

بدت والدة ليدي رائعة حقاً. سارت خطوة باتجاه ليدي وكأنما تريد أن تعانقها لكنها خشيت أن تفسد زينتها وفستانها فتراجعت من جديد قائلة: «حسناً، حان الوقت لكي تذهب الوصيفات إلى الكنيسة».

نظرت ليدي إلى صورتها في المرآة الطويلة بعد ذهابهما. هل سيراها جون أيضاً مثيرة ورائعة؟ وتذكرت الشقراء المذهلة وفكرت في أنه معتاد على رؤية

النساء المثيرات. لكنها لا تريد التفكير في «صديقاته» الآن، إذ يكفيها ما تشعر به من تقلص في معدتها. راحت تلهي نفسها بالنظر إلى الرسائل التي أحضرتها أمها، فوجدت أن معظمها بطاقات تهنئة، فقررت أن تتركها لتفتحها لاحقاً. لكنها وجدت بينها رسالة من أحد مكاتب المحاماة. تأكدت ليدي من أنّ الرسالة موجهة إليها ثم فتحتها. كادت الصدمة تفقدها صوابها. تبين لها أن مكتب المحاماة ينفذ وصية عمتها أليس غوف وأنها المستفيدة الوحيدة من إرثها. وقد جاء في تلك الوصية أن السيدة غوف أورثتها منزلها في قرية بنلاي كوربت. وجاء في الرسالة: (لقد تلقينا مفاتيح المنزل من السلطة المحلية في المدينة وكانت قد وصلتهم بطريقة غامضة. نرجو منك الاتصال بهم لاستعادة المفاتيح وتسلم الإرث).

أعادت ليدي قراءة الرسالة مرة أخرى، وقد غطت عينيها غشاوة لشدة تأثرها. وما لبثت أن أعادت الرسالة إلى الظرف وأخفتها خلف الأغراض على طاولة الزينة، ما إن دخل والداها إلى الغرفة. تكلم كلاهما في وقت واحد، فقال والدها: «ابنتي الصغيرة. كم تبدين جميلة!».

أما والدتها فقالت: «عليّ أن أذهب الآن».

ثم لاحظت عيني ابنتها الدامعتين: «أرجوك، لا تبكي ليدي، فسأبكي أنا أيضاً».

ثم استدارت فجأة نحو زوجها قائلة: «يجب أن تغادر المنزل بعد اثنتي عشرة دقيقة بالتحديد، ويلموث».

أجابها بعذوبة: «نعم عزيزتي».

وما إن أصبحت ليدي مع والدها بمفردهما حتى سألته: «كنت أعتقد أن العمة أليس استأجرت منزلها من مجلس المدينة».

فردّ قائلاً: «استأجرته لسنوات طويلة ثم صدر قانون يسمح للمستأجر بشراء المنزل الذي يقطنه. وكما تعلمين، لم تكن عمتك تملك المال الكافي فعرضت عليها أن أعطيها المبلغ الذي تحتاجه، لكنها رفضت بالتأكيد».

ـ ولم تعطها المال حينها؟

ـ لم يكن سوى مبلغاً تافهاً، لكن كبرياءها منعتها من القبول به. وقالت بازدراء إنها لا تود أن تصبح مدينة لوالدتك. لقد كانت عنيدة.. إذ خسرت منزلاً يساوي مئة وخمسين ألف جنيه وفق أسعار هذه الأيام».

ثم نظر إلى ساعته: «علينا أن نذهب خلال دقائق معدودة».

وتابع بابتهاج: «لا تقلقي، لم أكن لأسلمك إلى جون لو لم أكن واثقاً من أنه سيعتني بك جيداً».

نزلا السلم معاً، وقد بدأت ليدي تدرك أن عمتها تدبرت بنفسها المال لشراء ذلك المنزل.

كانت السيدة روس تتولى مراقبة متعهدي الطعام. فاقتربت منها لتلقي عليها التحية. امتلأت مقلتا مدبرة المنزل بالدموع ما إن رأتها، وكل ما تمكنت من قوله قبل أن تسلمها باقة الأزهار الموضوعة على الطاولة: «أعلم أنك سوف تكونين سعيدة».

شكرتها ليدي، وحملت باقة الأزهار البالغة الروعة والمكونة من أزهار المارغريت البيضاء والزهرية اللون. غادرت برفقة والدها إلى الكنيسة، وخلال تلك الرحلة القصيرة لم تكن تفكر، بالرغم من توتر أعصابها، إلا بجون الذي ينتظرها هناك. سوف تكون زوجة مخلصة له. نعم ستكون كذلك! لقد عاهدت نفسها على ذلك..

وفي تلك اللحظة، لم تدر من أين خطرت لها تلك الفكرة. فكرة هاجمتها بشدة لتعذبها.. عليها ألاّ تتزوج به!

لم تكن المسألة مسألة توتر أعصاب فقط. فالسبب الذي دفعها للزواج من جون هو عدم قدرتها على إعادة الدين له، ذلك الدين المتمثل بالشيك الذي يساوي خمسة وخمسين ألف جنيه.

وراحت الأفكار تتدافع رأسها لتتركها مشوشة الذهن. جون يكره أن يخدعه أحد. صحيح أنه يريد أن يتزوجها لأنه قرر أن الوقت حان لكي يتزوج. لكنها واثقة من أن سبب قراره هذا هو رغبته بمساعدة والدها الذي كاد ينهار! لا شك أن جون يكن الكثير من الاحترام لوالدها، لكن هل يمكنه أن يحترمها

عندما يدرك أنها تستطيع إيقاف هذا الزواج بفضل الإرث الذي تركته لها عمتها؟

ما إن وصلا إلى الكنيسة حتى قال لها والدها باهتمام: «تبدين شاحبة. هل أنت بخير ليدي؟».

عليها أن تخبره. عليها أن تقول له إن الزفاف لن يتم، لكنها تمتمت بتردد: «نعم».

شعرت بدوّار فيما هما يسيران في الممر المؤدي إلى الكنيسة، وقبل أن تتمكن من استجماع أفكارها، كانت الوصيفات قد تجمعن من حولها. تملكها التوتر وكأن يداً قبضت على حنجرتها بسبب الأفكار التي تراودها. وفي اللحظة التالية سمعت عزف الأرغن، وإذا بالحشد الذي ينتظر وصولها يقف لاستقبالها.

تسارعت أفكار ليدي وشعرت بالذعر. ورأت جون يقف بانتظارها، طويلاً منتصب القامة في بذلته. وفجأة، لم تعد تستطيع التفكير إلا في حبها له. إنها تريد أن تتزوجه.. تريد أن تصبح زوجته.

وبسرعة، نقلت نظراتها إلى جهة اليسار، إلى حيث تقف أمها وشقيقها وزوجته. سوف تقتلها أمها إذا ما قامت بإلغاء الزواج الآن، بعد الجهد الذي بذلته.

عادت ليدي تنظر إلى الأمام مباشرة، وكانت قد وصلت برفقة والدها إلى جانب جون. شعرت بتشوش ما إن أدركت أن جون ينظر إليها. وأدارت رأسها لتنظر إليه بدورها.. فابتسم لها.. وشعرت بحبها له يزداد. وفكرت في أن ما عليها أن تقوم به وما تقوم به فعلاً أمران متناقضان. لكنها سوف تتزوج به.

وسار كل شيء كالحلم؛ أخذت دونا منها باقة الأزهار، أما والدها فقدمها إلى عريسها ولم تعد ليدي ترى سوى جون. وحين تبادلا العهود الزوجية، بدا الخواء في صوتها فيما بدا الحزم والقوة في صوت جون. وتقابلت عيونهما فأحست ليدي أنها تذوب في دفء عينيه الزرقاوين الساحرتين.

أمسك جون بيدها المرتجفة ليضع خاتم الزواج في إصبعها، فجاءت لمسته ساحرة، رقيقة.. وأعلنهما الكاهن زوجاً وزوجة. وهكذا انتهت المراسم التقليدية. سارت ليدي إلى جانب جون في ممشى الكنيسة وهي متأبطة ذراعه، ثم خرجا معاً إلى الهواء الطلق فيما راحت الأجراس تقرع بابتهاج. انحنى جون نحوها: «أعرف أنك سمعت الكثير من المجاملات اليوم، لكنك تبدين مذهلة بشكل لا يصدق ليدي».

تمتمت ليدي: «شكراً لك».

لكن دماغها بدأ يصحو من جديد. وشعرت بفظاعة ما قامت به؛ لقد خدعته! يا إلهي.. عليها أن تخبره الحقيقة..

انحنى جون ليقول لها بهدوء: «ما زلت ترتجفين. سوف نصبح..».

ـ جون، أنا..

لكنها محاطة بالناس من كل جانب؛ أصدقاء، أقرباء.. والجميع يبتسمون فرحين.

قال جون يغيظها: «أما زلت تشعرين بالخجل ليدي؟».

ربما قال ذلك ليساعدها على التخلص من التوتر الذي يسيطر عليها. حاولت ليدي أن تجيبه لكنها لم تستطع. سوف يكرهها ما إن تخبره الحقيقة، ومع ذلك عليها أن تخبره.

وبالرغم من بقائهما معاً طوال الساعات التالية، إلا أنها لم تجد أي فرصة للتحدث إليه على انفراد. فظلت أعصابها مشدودة ومتوترة. وقفا معاً ليسلما على الضيوف. لكن أفكارها المضطربة لم تفارقها.. يمكنها أن تثق بجون. لكن لا يستطيع أن يثق بها، فهي تخدعه!

جلس الجميع لتناول الطعام وكانت وليمة رائعة. أما أمها فبدت في أبهى حلّة وهي تلعب دور المضيفة البارعة. ثم جاء دور الخطابات. فألقى والد ليدي خطاباً رائعاً قال فيه إنه لو أراد أن يختار زوجاً لابنته الغالية لما كان خياره أفضل مما اختارته هي لنفسها. ثم وقف جون، فجاء خطابه قصيراً لكنه يعبق بالمشاعر الحميمة، إذ قال إن زواجه من ليدي هو أعز أمنية حصل عليها.

شعرت ليدي أنها ستصاب بالإغماء، ونظرت إلى أمها فإذا بعينيها دامعتين.. لكن ليدي أدركت أن ما قاله غير صحيح.

بدأت تفكر في أن كل ما يحيط بها مزيف. وغمر السرور قلبها حين حان موعد العودة إلى غرفتها لتبدل ملابسها. إنها تحتاج إلى البقاء بمفردها. لكنها لم تستطع البقاء وحدها إلا للحظات قصيرة حيث قامت بقراءة تلك الرسالة التي وصلتها من مكتب المحاماة مرة أخرى. وسرعان ما وضعتها في حقيبة يدها.. لِمَ وصلت اليوم بالذات؟ وما هي إلا لحظة حتى تبعتها وصيفاتها.

وفيما كانت قريباتها الثلاث يضحكن ويمرحن، سألتها دونا بعيداً عن مسامعهن: «هل أنت بخير ليدي؟ تبدين هادئة أكثر من اللزوم.. هل فهمت قصدي؟».

أجابتها ليدي: «أنا بألف خير. لكن هذا اليوم بدا لي طويلاً. ألم يكن كذلك؟».

ابتسمت دونا: «سوف تصلين إلى منزلك عند الساعة الثامنة أو التاسعة على أبعد تقدير. وسيكون أمامك شهران كاملان على تلك الجزيرة لتعوضي».

تشك ليدي بأن يذهبا إلى أي مكان بعد أن تخبر جون بما عليها أن تخبره به. فما بالك بشهر العسل!

جاء وقت الوداع الذي بدا وكأن لا نهاية له. وأخيراً أصبحا وحيدين، فشعرت أن أعصابها مشدودة إلى درجة لا تستطيع معها التفوه بأي كلمة. لكن عليها أن تخبره. يجب أن تعترف له قبل نهاية هذا اليوم.. أن زوجته مخادعة!

قال جون وهو يقود سيارته الأنيقة عبر بوابة قصر بيمهارست: «أخيراً أصبحنا وحدنا».

هيا أخبريه! فتحت ليدي فمها.. ثم أغلقته ثانية: «جون..».

حاولت أن تتكلم لكن صوتها خانها فلم تجد شيئاً لتضيفه.

ألقى جون نظرة عليها وابتسم. وفجأة، رفع إحدى يديه عن مقود السيارة وأمسك بيدها ضاغطاً عليها في حركة مطمئنة ليقول بلطف: «حاولي أن تسترخي».

ثم غدت ابتسامته أكثر عمقاً: «تعلمين أنني لا أعض».

إنه يعتقد أنها متوترة بسببه، وأنها تشعر بالقلق لأنها ليلة زفافهما الأولى. لكنها تتوق في الواقع لأن يضمها بين ذراعيه بل إنها مشتاقة لعناقه. لقد مرّ أسبوعان طويلان منذ أن ضمها بين ذراعيه لآخر مرة، وأثار في داخلها أحاسيس رائعة. طردت تلك الأفكار من رأسها وأغمضت عينيها، فعادت أفكارها الأولى تعذبها طيلة الطريق إلى يورك هاوس. إنها تريد أن تكون زوجة جون. لكن كلمة «مخادعة» ظلت تتردد في رأسها. وهل يمكن لزواج ناجح أن يبنى عن طريق الخداع؟.

ما إن وصلا إلى يورك هاوس حتى سألها جون: «هل أنت متعبة؟».

فكرت ليدي في أنه معذور لاعتقاده هذا، إذ كانت تجيب باقتضاب شديد كلما حاول أن يحدثها وهما في طريقهما إلى المنزل. لجأت إلى الجواب نفسه الذي قالته لدونا. فردّت: «كان.. يوماً طويلاً».

ما إن خرج جون من السيارة ودار حولها ليساعدها حتى سارعت إلى النزول منها خشية أن تلتقيه. كانت تنوي الابتعاد بسرعة، لكن يديه سارعتا إلى الإمساك بها لتبقيانها في مكانها. ووجدت ليدي نفسها تنظر إلى عينين زرقاوين مذهلتين و.. مليئتين بالتفهّم.

هزها جون برفق: «كفي عن القلق. لست وحشاً».

ثم ابتسم مشجعاً: «لسنا مضطرين لأن نتم خطوات الزواج كلّها الليلة، فأمامنا شهران كاملان لنتعرف إلى بعضنا البعض بطريقة حميمة».

حدقت ليدي إليه، وتبخرت من رأسها بصورة مؤقتة الأفكار المتعلقة بخداعها: «ألن.. تشاركني السرير الليلة؟».

راح يضحك وهو يراها بهذه الروعة ثم قال برقة: «آه، ليدي. ثمة الكثير لتتعلميه».

وخشية أن تسيء فهمه تابع يقول: «أنا أريدك بكل جوارحي، لكن ما يهمني هو أن يكون كل شيء على ما يرام بالنسبة إليك».

نظرت إليه ليدي بإجفال. وقبل أن تتمكن من استيعاب ما قصده من

ملاحظته تلك، حملها جون بين ذراعيه وسار إلى الباب الرئيسي ليورك هاوس. همس وهو يفتح الباب: «أمر تقليدي، كما أظن».

واجتاز العتبة وهو يحملها بين ذراعيه. لم يضعها على الأرض إلا حين وصلا إلى غرفة الاستقبال. راح قلبها يخفق بقوة لمجرد وجودها بقربه. أحسّت بصراع في داخلها؛ فجزء منها يحثها على الاعتراف بالحقيقة، والجزء الآخر يمنعها من البوح بأي شيء، رغبة في البقاء إلى جانبه. ولمَ عليها أن تخبره؟ لو أن تلك الرسالة لم تصل من مكتب المحاماة اليوم، لتزوجته ومرّ شهران على الأقل قبل أن يعرف أي منهما بهذه المسألة.

وخلال هذا الوقت سيعرفان بعضهما البعض أكثر بطريقة حميمة. ومن المحتمل أن يبدي جون، زوجها، اهتماماً لأمرها. من يدري؟ ليس عليك أن تخبريه!

أنزلها، فوقفت إلى جانبه فيما لا تزال ذراعاه ملتفّتين حولها ثم قال: «لقد جهّزت لنا السيدة روس ما يكفينا للعشاء».

إلا أن ليدي هزّت رأسها فقد بدأت تشعر بالاضطراب. لا شك أنها ستختنق إذا ما تناولت أي طعام. فقالت بسرعة: «أنا لست.. جائعة».

أجاب جون: «لقد أمضيت يوماً متعباً وأنت تتحدثين إلى كل أولئك الضيوف من دون أن تحصلي على دقيقة واحدة لنفسك. والآن، هل تودين الذهاب إلى السرير؟».

شعر بها ترتعش بين ذراعيه، فقال يهدّئها متمتماً: «شش.. أنت ترتجفين».

لكنه أبقاها حيث هي وابتسم لها. إنها بداية رحلتهما الزوجية معاً فقال: «سوف نتشارك في السرير. لكنني لن أطلب منك أي شيء قبل أن تشعري بالارتياح وتتقبلي وجودي إلى جانبك. وحتى ذلك الوقت، سننام جنباً إلى جنب فقط».

هتفت ليدي: «آه، جون!».

وغلبتها دموع التأثر بسبب مراعاته لمشاعرها وتفهمه الشديد.

ـ إنك في غاية اللطف.

نظر إليها وقد التوى فمه: «هل يخوّلني هذا أن أعانق عروسي؟».

حدقت ليدي إليه فيما راح قلبها يتخبط بين ضلوعها. ومنعها ارتباكها من الكلام. ويبدو أن جون افترض أن سكوتها علامة الرضى، فقرّبها منه أكثر وعانقها.

بدأ عناقه لطيفاً، رقيقاً. ثم تراجع قليلاً وراح كل منهما يحدق إلى عيني الآخر. ما الذي قرأه في عينيها يا ترى؟ لم تكن لديها أي فكرة. لكنه جذبها إليه من جديد ولم تمانع ليدي في أن يعانقها مرة أخرى.

شعرت بساقيها تكادان تنهاران تحتها. وهمس جون بالقرب من خدها: «زوجتي».

آه، كم تحبه! لقد ناداها: «زوجتي». إنها زوجته.. وراحت البهجة تتراقص في داخلها. لكن وقع هذه الكلمة بالإضافة إلى الأحاسيس القوية التي سيطرت عليهما، أيقظت في داخلها ذلك الجزء المتمسك بالشرف والأمانة.

زوجته! لا يحق لها أن تصبح زوجته.. شعرت بيده تتحرك على كتفيها، وكادت تتوقف عن التنفس بسبب الأحاسيس المثيرة التي أيقظها فيها، فيما راح ينظر في أعماق عينيها، وهمس برقة: «أظننا سنشعر بارتياح أكبر في غرفتنا. أليس كذلك؟».

وانحنى لكي يرفعها بين ذراعيه ويحملها إلى سرير الزوجية، لكن صوتها الحاد أوقفه.

ـ كلا!

حدق إليها جون وقد أذهله احتجاجها. لم يكن مخطئاً.. لقد أعطته إشارات تدل بوضوح على قبولها.. وردد قولها: «كلا؟».

جاء ردّها تأتأة: «لا.. أست.. طيع».

وعرفت أنها لا تستطيع أن تتجاوب معه. إنها تحبه بقوة ولا يمكنها أن تخدعه. وإذا لم تقل شيئاً فستصبح زوجته.. سيصبح زواجهما مكتملاً. مع أن هذا ما تريده حقاً. تريد أن تصبح جزءاً منه ويصبح جزءاً منها، لكن، لا!

لايمكن لهذا أن يحصل. رفعت بصرها إليه. كان جون قد أشاح ببصره عنها وقد علا وجهه تعبير مقلق. مرّت لحظة أو اثنتان قبل أن يقول بهدوء: «حسناً. لنعد خمس دقائق إلى الوراء. يمكنني أن أعتذر عما حصل إذا أردت ذلك. لكنك امرأة جذابة جداً ليدي. . اعذريني إذا ما أسأت فهمك. فلنصعد إلى الطابق العلوي. لكن. . ربما من الأفضل أن ننام الليلة في غرفتين منفصلتين».

ـ أوه، جون. ليس الأمر. .

وتوقفت فجأة. فقد شعرت بالخجل ولم تستطع أن تقول له إنها أحبت عناقه وإنها تود أن تتبعه حيث يريد، لكن ثمة ما يمنعها من ذلك. فقالت بيأس: «لا أستطيع. .».

ـ ليس عليك القيام بذلك الليلة. لقد قلت لك. .

ـ لا أعني الليلة فقط، بل في ما بعد أيضاً.

نظر إليها بدهشة وهو يحاول أن يفهم ما الذي يجري: «حتى في ما بعد؟».

ردت بصوت مخنوق: «أبداً».

أبدى جون تعاطفه: «ليدي. يبدو أن أعصابك متلفة. لا تقلقي فبعد ليلة من النوم المريح، كل شيء سيكون. .».

ما إن وجدت ليدي الشجاعة حتى اندفعت تقول بسرعة: «يجب إلغاء زواجنا هذا».

ـ إلغاء؟

تمكن من السيطرة على نبرة صوته حين سألها: «ألا تظنين أنه يحق لي أن أشارك ولو قليلاً في هذا القرار؟».

قالت بيأس: «أنت لا تفهم».

وابتعدت قليلاً لتحافظ على مسافة بينهما. . فهي لا تزال تشعر بالارتعاش بسبب عناقه، وتحتاج إلى كل ذرة من شجاعتها، وفكرت في أنها حين تخبره الحقيقة، فستصبح مهمتها أسهل.

ـ أنت محقة في ذلك. أنا لا أفهمك.

اعترفت ليدي: «لقد. .خ. . دعتك».

وشعرت أنّ قلبها يسقط بين قدميها ما إن رأت عبوسه. وسارعت إلى القول: «لقد حصلت على المال. . أو بالأحرى سوف أحصل عليه. أعني مبلغ الخمسة والخمسين ألف جنيه. عرفت ذلك قبل أن أذهب إلى الكنيسة».

قالت ذلك بأنفاس مقطوعة. ثم تابعت: «ما كان يجدر بي أن أتزوج بك».

لم تكن ليدي واثقة مما قد يحصل ما إن تعترف له بخداعها. لم تستطع توقع رد فعله. فمن المحتمل أن يعيدها إلى قصر بيمهارست من دون أي تأخير ثم يقوم بإلغاء زواجهما قبل أن يجف حبره.

لكن ما لم تتوقعه أبداً هو أن يبقى جون شديد السيطرة على نفسه. شعرت بالذعر حين وجه إليها نظرة قاسية جعلتها تثبت في مكانها ثم قال بنبرة مشدودة: «قلت لتوك إنه ما كان عليك أن تتزوجي بي».

ونظر مباشرة في عينيها الخضراوين القلقتين وأضاف: «إذن، عزيزتي، يجب أن تتحلي بالشجاعة لتخبريني لما تزوجتني؟».

حدقت ليدي إلى وجهه وهي مخدرة الأحاسيس. إنها ليست مستعدة لذلك. لم تكن بحاجة لأن تتزوجه لتنقذ والدها. لقد علمت ذلك قبل أن تقف إلى جانبه أمام المذبح. ما يعني أنها تزوجته فقط لأنها تحبه، ولأنها أرادت أن تتزوجه أكثر مما أرادت أي شيء في حياتها. لكن، لا مجال على الإطلاق لأن تخبره بذلك.

وبالرغم من ذلك، فإن وقوفه أمامها بهذا الشكل، مترقباً، منتظراً جوابها. . يؤكد لها أنه لن يسمح لها بالذهاب إلى أي مكان قبل أن تعطيه تفسيراً. . لكن أي تفسير يمكنها أن تعطيه؟

***

٩ ـ لا للكذب . . نعم للحب!

ظلت ليدي صامتة لفترة طويلة، لكن تعابير وجه جون أنبأتها أنه مصرّ على سماع جوابها. سألها بفظاظة: «لِمَ تزوجت بي ليدي بعد أن عرفت أنك لست بحاجة إلى ذلك؟».

نزل عليها سؤاله كالصاعقة فقالت متلعثمة: «كان . . الوقت . . قد فات».

ثم تابعت كمن يحاول التعلق بقشة: «كانت أمي لتقتلني لو أوقفت الزفاف في اللحظة الأخيرة».

ذكّرها جون: «لقد وقفت في وجه والدتك من قبل حين أصريت على ما تريدينه بشدة».

وتجهم وجهه ثم قال متحدياً: «تقولين إنك خدعتني، لكنك تزوجت بي بالرغم من شعورك بالذنب، لأنك شعرت بأنك غير قادرة على مواجهة والدتك؟».

راحت تتخبط في إجابتها: «لم أكن . . أنا . . لم أقرأ الرسالة التي وصلتني من محامي عمتي إلا قبل لحظات من مغادرة المنزل».

ـ هل تركت لك عمتك بعض المال؟

ـ بل تركت لي منزلها. لم أكن أعرف حتى إنها تملكه. أرسل محاميها . .

ـ أفهم من كلامك أنك لا تنوين الانتقال إلى ذلك المنزل. وقد تزوجت بي بالرغم من معرفتك بأنك ما إن تبيعيه . .

وغدت نبرته أكثر عدائية وهو يتابع: «حتى يصبح لديك ما يكفي من

المال لتسددي لي الدين».

أومأت ليدي: «بحسب ما قاله والدي».

قاطعها مشككاً: «هل ناقشت الأمر مع والدك؟».

ـ لا! قلت له فقط إنني كنت أظن أن العمة أليس تستأجر المنزل ولا تملكه. لكنه لم يعلم شيئاً عن الرسالة. أخبرني أن الفرصة سنحت لعمتي لكي تشتري المنزل بثمن بخس منذ سنوات. وأن هذا المنزل يساوي حوالى مئة وخمسين ألف جنيه بحسب أسعار اليوم.

ابتلعت ريقها بصعوبة إذ شعرت بجفاف في حنجرتها، ثم تابعت وهي ترتجف: «يمكنني أن أسدد لك الدين المتوجب، وسيبقى ما يكفي من المال لأدفع المصاريف التي تطلّبها هذا ال . . اليوم».

سمع جون ما قالته من دون أن يبعد نظره عنها. وبدا أنه تعمّد البقاء صامتاً. ابتعد قليلاً عنها، فيما بدا ذهنه مشغولاً. ثم استدار إليها لينظر مباشرة إلى عينيها قائلاً باستسلام: «يبدو لي أنك وجدت حلاً لكل المسائل ما عدا مسألتنا، أنا وأنت».

نظرت ليدي إليه من دون أن تتفوه بكلمة. لكن الأسئلة راحت تتسابق إلى شفتيها. المسائل كلها . . ما عدا مسألتهما؟ ماذا يعني؟ وساورها شعور كريه جعل كبرياءها تثور فسألت برعب: «لاتقل لي إنك دفعت تكاليف زفافي؟ أو إنك طلبت أن ترسل الفواتير إليك؟».

قال موضحاً: «ثقي بي ليدي، يمكن لوالدك أن يدفع تكاليف العرس من دون أن تتأثر ميزانيته كثيراً».

لم تصدق ليدي ذلك: «آخر ما سمعته هو أنه مفلس. وقد عانيت الأمرّين لأجعل أمي تخفض من نفقات العرس، فقد كنت قلقة جداً».

أصبح شعورها عدائياً هي أيضاً، لمعرفتها بأنها تجهل ما يدور حولها، فصاحت قائلة: «تقول لي إنّ عليّ ألاّ أقلق مطلقاً! لا أصدق ذلك!».

وافقها جون: «أنت على حق».

لكن عدائيته تلاشت فجأة ثم أشار إلى أحد المقاعد مقترحاً: «تعالي

واجلسي. سوف أشرح لك..».

لكنها قاطعته باضطراب: «لا داعي لأن تشرح لي أي شيء».

من الأفضل لها أن تبقيه بعيداً عنها!

ـ لقد خدعتك، وأنت ترغب بإلغاء الزواج، وهذا كل ما في الأمر.

نظر إليها جون للحظات طويلة. ثم قال بنبرة واضحة تماماً وعيناه مركزتان على عينيها: «تصحيحاً لمعلوماتك ليدي. أنا من خدعك. لقد تزوجتك لأنني أردت ذلك، ولا مجال لإلغاء هذا الزواج البتة».

بدأت أحشاؤها تضطرب ولكن ما الذي قاله فهي من خدعته!

ـ لعلي مرهقة أكثر مما أظن. فأنا لم أعد أفهم شيئاً.

ـ هل تفضلين الذهاب إلى السرير، يمكننا أن ننهي هذا النقاش غداً عندما نصل إلى الجزيرة.

اتسعت عينا ليدي للمفاجأة وسألته: «أما زلت تود أن نذهب معاً في شهر عسل؟».

ـ هل نسيت بهذه السرعة؟ أخبرتك حين طلبت منك الموافقة على الزواج بي أن الطلاق ليس وارداً، وكذلك إلغاء الزواج.

أحست فجأة أن رجليها تكادان تنهاران تحتها. وبدا لها أن الجلوس فكرة جيدة. جلست في المقعد وهي تغمغم: «أظن أنني..».

فوجئت عندما رأت جون يقرّب كرسياً ليجلس قبالتها. فأخفضت بصرها وقالت معتذرة: «أنا آسفة. لقد تزوجت بك مع أنني أستطيع أن أرد لك دينك ما إن أبيع منزل عمتي».

أجابها جون: «وأنا آسف لأنك تشعرين بأن عليك أن تعيدي لي ذلك المبلغ. لكن إذا كان ذلك يجعلك تشعرين بالارتياح، فسأعلمك أن الدين سُدد مع الفائدة منذ أسبوعين لأن والدك أصر على ذلك».

كاد رأسها ينفجر ولم يستطع دماغها استيعاب الأمر فسألته: «تم تسديده؟ من الذي سدده؟».

وعاد دماغها يعمل بسرعة: «هل تقول إنني.. لم أكن مضطرة للزواج

بك؟».

وجاهدت كي تستعيد كلامه بحرفيته: «لقد قلت.. إنك خدعتني، هل هذا ما عنيته بقولك؟ إنك خدعتني بزواجك بي؟».

هذا غير معقول! فهي التي خدعته وليس العكس: «هل يمكنك أن تفسر لي ذلك؟ يبدو أن رأسي مشوش، ولم أعد أفهم الأمور بشكل صحيح. من الذي أعاد ذلك المبلغ؟ والدي لا يملك المال و..».

توقفت عن الكلام وقد شعرت بالارتباك. وتفاقم شعورها هذا حين نهض جون من كرسيه واقترب ليجلس على المقعد إلى جانبها، وهو يتمتم: «حبيبتي المسكينة».

ثم أمسك يديها بين يديه وتابع يقول: «لقد حانت هذه اللحظة أسرع مما توقعت. لكن لعله من الأفضل أن نبدأ زواجنا بإيضاح بعض الأمور لئلا تبقى عالقة».

سألته بنبرة متداعية: «أما زلت مصراً على أن نبقى متزوجين؟».

ردّ جون: «ما من حلّ آخر».

ولم تفهم ليدي شيئاً مما قاله، فقالت: «يمكنني أن أدفع لك المال.. أو بالأحرى سوف أتمكن من ذلك..».

ـ والدك سدده لي.

ـ لكن أبي لا يملك المال!

ـ إنه يملك الكثير منه الآن.

سألته ليدي: «كيف ذلك؟ منذ شهرين فقط كان يائساً للغاية حتى إنه باع كل ما يمكنه أن يبيعه. فمن أين حصل على المال؟».

وسحبت يديها من بين يديه وعيناها تنظران إليه متوسلتين للحصول على إجابات. فبدأ جون يقول: «والدك.. باع نصف قصر بيمهارست».

شعرت بالصدمة وحدّقت إليه بدهشة تامة، ثم صرخت بقوة: «لا، لا يمكنه ذلك! أمي لن تسمح له بذلك!».

فقال جون بهدوء: «لكنها فعلت».

جمّدتها الصدمة، فقد أدركت أن جون يعرف الحقيقة أكثر منها. وراحت الأسئلة تتدافع في رأسها. لقد باع والدها نصف قصر بيمهارست؟ إنه أمر لا يصدّق! وأمها وافقت على ذلك؟ هذا مستحيل!

وفجأة طرأ على ذهنها سؤال جديد: «قلت إن أبي سدد لك الدين قبل أسبوعين؟».

قال جون مؤكداً: «هذا صحيح».

وبدا كأنه توقع سؤالها التالي، إذ لم تظهر عليه المفاجأة حين سألته ليدي بتمهل: «إذن، ما دام المال قد عاد إليك، وأبي لم يعد مديناً لك.. لِمَ تركتني أتزوجك؟ لِمَ تزوجتك؟».

ثم تابعت تقول وهي لا تزال مصدومة: «مع أنه لم يكن هناك داع على الإطلاق لأن أتزوجك».

علّق جون: «أخشى أنه كان هناك داعٍ، فقد أخبرت والدك أن لديّ اقتراح أود أن أقدمه له».

فقالت تذكره بما سبق أن قاله لها: «وأنت قلت له إنك ستطلب مني الموافقة على الزواج بك».

ـ هذا جزء من المسألة فقط.

ـ جزء فقط؟ وليس كل شيء؟

هزّ جون رأسه وقال مفسراً: «نعم، لكن ثمة جانب آخر لهذه المسألة».

شعرت ليدي بحيرة تامة، لكنه ما لبث أن كشف لها تفاصيل الموضوع: «عندما أخبرتني أن والدك يفكر ببيع قصر بيمهارست، أخبرتني أيضاً أن أخاكِ ليس مهتماً بهذه الملكية».

وراح دماغها يعمل بسرعة: «هل وجدت شارياً للقصر؟ شخص يود أن يشتري نصف ملكية فقط؟»..

لا يمكنها أن تتخيل والدتها وقد رضيت بأن يشاركها أحد ما منزلها!

تركزت عينا ليدي المذهولتان على عيني جون الزرقاوين الرائعتين حين أعلن بهدوء: «أنا الشاري».

اتسعت عيناها وهي تردد بضعف: «أنت الشاري؟».

ردّ جون: «سنعيش أنا وأنت في يورك هاوس كما اتفقنا، لكن قصر بيمهارست أصبح مسجلاً باسمك واسم والدك».

ظلت ليدي تحدق إليه مصعوقة فيما أضاف: «لقد اشتريت نصف قصر بيمهارست لك ليدي».

بقيت تحدّق إليه كالمجنونة: «اشتريته.. لي».

وانخفض صوتها حتى قارب الهمس: «أنت..».

لا بد أنه كلفه ثروة. وحاولت من جديد: «أنت..».

كان جون ينظر إليها ويرى مقدار ذهولها فشعر بالشفقة عليها وبدأ يوضّح لها الموقف: «هل تذكرين أننا دخلنا إلى مكتبه يوم مأتم عمتك؟».

ـ أخبرتني يومها أنك طلبت منه يدي للزواج. وقلت إن ذلك يجعلك فرداً من أفراد الأسرة. وهكذا لن يشعر والدي بالقلق بشأن المال الذي يدين لك به..

ابتسم مشجعاً ثم قال مصححاً: «سواء أكنت من أفراد الأسرة أم لا، فإن بال والدك ما كان ليهدأ إلا بعد أن يرد ذلك المال لي. كنت أعرف هذا كما يعرفه هو تماماً. أما أنت ليدي فكنت تفكرين انطلاقاً من حبك له فقط وليس انطلاقاً من عقلك. كل ما أردته هو أن يعود إلى سابق عهده».

ـ لكن..

وتوقفت عن الكلام. فقد تكشفت لها حقائق جديدة بعد ما قاله جون للتو.. ما إن استعاد وجه والدها إشراقه حتى شعرت بالارتياح. جون على حق في كل ما قاله. سألته وهي لا تزال تشعر بالصدمة: «هل كنت ساذجة إلى هذا الحد؟».

أجاب جون برقة: «إنك أفضل ابنة يتمناها أي أب في العالم».

وعاد يشرح ما حصل: «يومذاك، عندما كنت في المكتب مع والدك، أخبرته أنني أود أن أتزوج بابنته. فبارك زواجنا على الفور. عندئذٍ، قدمت له الاقتراح الذي كنت أنوي تقديمه له».

ـ لكن لم يكن لديك أي اقتراح يومها.

ـ يعرف والدك تماماً كم أنت متعلقة بقصر بيمهارست. فقلت له إني أود أن يسجّل نصفه باسمك كهدية زواج مني إليك.

لم تتمكن ليدي من منع نفسها، فهتفت: «آه، جون!».

ولم تدرِ كيف أو من أين جاءتها القدرة على التماسك. فسألته: «وأبي وافق على ذلك.. هكذا ببساطة؟».

ـ قال إنه سيفكر في الأمر، لكنني شعرت أن الفكرة راقت له. وهكذا حين عدنا نحن من نزهتنا..

بدأ رأس ليدي يدور وأكملت جملته: «تلك النزهة، حين طلبت مني الموافقة على الزواج بك».

فأكد لها موافقاً: «نعم حين وافقت على الزواج بي. خلال هذا الوقت كان والدك يفكر بالأمر ويدرسه. واقترح أن ندخل أنا وهو إلى مكتبه لنناقش هذا الاقتراح بعمق وبالتفصيل».

تذكرت ليدي أنها رأتهما يدخلان إلى المكتب معاً حين صعدت إلى الطابق العلوي لتغيير ملابسها.

ـ لقد فكر ويلموث بإيجابيات هذا العرض: سوف يصبح لديه من المال ما يكفي ليسدد ذلك الدين، فيما يبقى لديه الكثير ليتصرف به كما يشاء. وقبل أن نقوم بالإجراءات القانونية المطلوبة لانتقال الملكية إليك، أوضح لي أمراً هاماً. وهو أن النصف الآخر سيكون إرثاً لشقيقك أوليفر، وهو يشعر أن والدتك قد ترغب بضمانة، إذا ما غير أوليفر رأيه وأراد استعادة قصر بيمهارست. لذا وافقت بالنيابة عنك على تقديم تلك الضمانة، وهي تقضي بأن نبيع حصتنا لأوليفر في المستقبل إذا ما رغب في شرائها. لكنني طلبت في المقابل أن تكون لنا الأفضلية لنشتري حصة أوليفر إذا ما رغب ببيعها.

شعرت ليدي بالذهول التام: «و.. وافق أبي على البيع».

أومأ جون: «انتهت الاجراءات الرسمية منذ أسبوعين.. لقد قلت لوالدك إنني أريد أن أفاجئك خلال شهر عسلنا بنسخة من الاتفاق حيث يظهر

اسم ليدي ماريوت كمالكة لنصف قصر بيمهارست».

ليدي ماريوت.. كم يبدو ذلك جميلاً!

وأنهى جون كلامه: «شعر ويلموث أن عليه أن يخبر والدتك، لكنه كان واثقاً من أنها لن تعارض حين تعرف التفاصيل كلها. وهكذا، وافق على إبقاء الأمر سرياً ورجعت السعادة إلى والدك. أمك أيضاً شعرت بالسعادة بسبب وفرة المال، وقد رأت أن بإمكانهما أن يقيما لك عرساً محترماً. وأنت ليدي..».

وابتسم لها برقة: «أتمنى أن تشعري بالسعادة أنت أيضاً. لكن، أنا آسف. فهذا لا يشمل إلغاء الزواج».

أدركت ليدي أنها ترغب بالبقاء متزوجة من هذا الرجل. لكنها، وبالرغم من حبها لقصر بيمهارست، لم تستوعب بعد مسألة شرائه لنصفه.. لها! فهتفت: «هذا كثير جداً! لقد حللت مشاكلنا كلها. لكن، ماذا عنك أنت؟ ما الذي حصلت عليه في المقابل؟».

أجاب جون بنعومة: «عزيزتي. مع أنه يسعدني جداً أن أرى البسمة تعود إلى وجه والدك، لكن ما حصلت عليه اليوم هو.. أنتِ».

حدّقت ليدي إليه، هذا الرجل الذي تزوجته مدهش. لكن.. هل يكفي ذلك حقاً؟

سألته من دون أن تنظر مباشرة إليه: «هل تظن أن.. الزواج من دون.. حب، أمر جيد؟».

لم تشأ أن يعرف جون كم يعني لها هذا الأمر. وفي الصمت الذي تلا، راحت تفكّر بجدية فائقة برباط الزواج الذي بات يجمعهما. تمنت لو لم تنفوه بأي كلمة عن الحب. فالتوتر الذي تلا كلامها والذي جعل الصمت يطول، جعلها تدرك أن جون لم يحسب للحب حساباً. وتمنت يائسة أن يقول أي شيء.. إذ أنّ الصمت بدأ يحرق أعصابها. وبعد لحظات طويلة مليئة بالترقب، قطع جون الصمت قائلاً بوضوح: «لكنه ليس من دون حب».

تصريحه هذا جعلها تصاب بالذعر. ما إن وقعت كلماته على أذنيها حتى

قفزت ليدي من مقعدها ووقفت على قدميها واختلطت عليها المشاعر تماماً. سارت خطوات عدة مسرعة عبر الغرفة من دون أن تعي ما تقوم به، ثم توقفت واستدارت لترى أن جون وقف على قدميه أيضاً. حدقت إليه كالبلهاء قبل أن تهتف بذعر: «هل كنت تعلم أنني أحبك؟».

رأته يتسمر في مكانه.. مصدوماً، قبل أن يقول: «ماذا.. قلت؟».

بدا في نبرته الذهول وكأنه لا يصدق أذنيه. وبسرعة تفوق سرعة الضوء ردّت ليدي: «لم أقل شيئاً».

لكن جون لم يقتنع، وقال يذكرها: «قلتِ إنك تحبينني».

لم تكن بحاجة إلى من يذكرها بذلك.

هزّ رأسه كمن أصيب بدوّار: «أرفض أن يبدأ زواجنا بالأكاذيب، ليدي ماريوت. أخبريني الحقيقة، هل تكنين لي أي مشاعر؟».

هزت ليدي رأسها. وحاولت أن تقلل من أهمية الأمر فقالت بنبرة سطحية: «لا أهمية للأمر».

فردّ بسرعة: «بل إنه هام».

خطوات عدة كانت تفصل بينهما، لكن أيّا منهما لم يتحرك قيد أنملة، بل ظل كلامهما عالقاً في الفضاء بينهما.

ـ لـ.. لماذا؟.

لماذا قالت ما قالته؟ لقد بدا واضحاً الآن أن جون لم تكن لديه فكرة عن حبها له. قال جون بتردد: «لماذا؟ لأن..».

وتوقف عن الكلام. ثم، وكما لو أنه توصل إلى قرارٍ ما، رفع رأسه باعتداد وقال: «تزوجتك اليوم ليدي لأن هذا ما أردت القيام به بالضبط».

فاندفعت ليدي تقول: «تعني من أجل والدي. تزوجت بي لأن والدي...».

صحح لها جون: «لا علاقة لوالدك أو لأي شخص آخر بقراري. تزوجتك للسبب الذي ذكرته في خطابي في حفل الاستقبال الذي تلا زفافنا.. لأنني، ومنذ أسابيع، لم أكن أريد شيئاً أكثر من الزواج بك».

ـ لأنك شعرت أن الوقت حان لكي تتزوج. هذا ما قلته لي.

وإذا به يعترف: «ليدي، ليدي، أعترف لكِ أنك لست الوحيدة التي تستطيع الكذب».

كلامه جعلها تحدّق إليه، لكن عينيها ازدادتا اتساعاً حين أضاف: «لكنني لا أكذب الآن.. ولن أكذب عليك بعد اليوم أبداً.. لقد تزوجتك لأنني أحتاج إليك وأريد أن أمضي بقية حياتي معك».

شعرت أن أنفاسها علقت في حنجرتها، فسألته بما تبقى لها من قوة: «تز.. تزوجتني.. من أجلي.. أنا فقط؟».

أكد لها: «نعم. لقد تزوجتك عزيزتي ليدي لأنني استيقظت ذات يوم فوجدت أنني غارق في حبك حتى أذنيّ».

حدّقت إليه بذهول شديد، وشعرت بالضجيج يملأ أذنيها. وتذكرت الحساسية التي أظهرها جون في كثير من الأحيان. فنفت قائلة: «هذا غير صحيح. بل أنت تقول ذلك لئلا أشعر أنني خرقاء».

راح جون يهز رأسه: «لا مزيد من الأكاذيب بيننا بعد الآن ليدي».

ما زالت لا تصدّق ما قاله. فقال: «تعالي ليدي. لاقيني في منتصف الطريق. دعيني آخذك بين ذراعي وسوف أجعلك تقتنعين بذلك».

وسار خطوة باتجاهها، لكن ليدي تراجعت خطوة إلى الوراء، فتوقف.

ـ أقنعني من مكانك هذا!

وأدركت أنها سوف تضيع إذا ما ضمها بين ذراعيه.

ابتسم جون وكأنه أدرك ما تشعر به وقال معترفاً: «أنا أيضاً ممزق الأعصاب إلى حد كبير».

بدا وكأن قولها إنها تحبه راح يرن في أذنيه: «هل يمكننا أن نجلس على الأقل؟».

شعرت ليدي أنها في أمسّ الحاجة إلى التشبث بشيء محسوس، فسارت لتجلس على الكرسي الذي كان جون يجلس عليه من قبل. توقعت أن يجلس على المقعد، لكنه سحب كرسياً آخر ووضعه قبالتها، ما جعل قلبها يزداد

www.elromancia.com

اضطراباً. سألها جون وعيناه تطوفان على وجهها: «هل تسمحين لي أن أقول لك كم تبدين جميلة، وإن أيامي من دونك لا معنى لها؟».

آه، جون! وراحت تجاهد لئلا تبدي تأثرها.

ـ هل تحاول إقناعي بأنك لم تقل.. ما قلته، لتخفف عني فقط بعد ما.. قلته لك؟

ذكرها بلطف: «قلت إنك تحبينني ليدي».

تأوهت ليدي: «ليس..».

ـ ليس عليك أن تشعري بالارتباك حبيبتي. أكاد لا أصدق أنّ هذا الأمر حقيقي. وأريدك أن تعلمي إنني أحبك كثيراً، حتى أنني أشعر أحياناً بألم جسدي بسبب بعدك عني.

حدّقت ليدي إليه وقد اتسعت عيناها بشكل كبير. إنها تعرف هذا الإحساس.

ـ لكنك.. لم تقل لي ذلك أبداً. حتى إنك لم تلمح..

ـ وكيف يمكنني ذلك؟ لقد خشيت أن أخيفك.

وجدت ذلك صعب التصديق وخشيت أن تظهر أفكارها بوضوح على وجهها: «أنت خشيت..».

قاطعها جون: «كانت لي أسبابي. وأظن أن الأمر بدأ منذ رأيت تلك الصبية الرائعة الجمال، الشديدة الخجل، ابنة الستة عشر عاماً. التي ظلت صورتها مطبوعة في مكان ما من ذاكرتي».

شعرت ليدي بالارتعاش وسألته: «هل بقيت في ذاكرتك ابنة الستة عشر عاماً؟».

ـ كانت تلك البداية. بدوت جميلة يومها. لكن جمالك ازداد تألقاً خلال السنوات السبع الماضية، وإذا بي أراك أجمل بكثير مما عرفتك.

ـ هل كنت تفكر بي.. منذ ذلك الحين؟

ـ من وقت إلى آخر. زرت منزلكم منذ حوالى ثلاث سنوات لأعيد القرض إلى والدك. أملت يومها أن أراك، لكنك لم تكوني هناك.

ـ أردت أن ترى كيف أصبحت؟

ـ شيء من هذا القبيل، على أي حال، منذ عشرة أسابيع، عدت إلى المكتب بعد أن كنت في رحلة خارج البلاد فأخبرتني مساعدتي الشخصية أن ليدي بيرسون اتصلت بي.

توقف قليلاً ثم اعترف قائلاً: «وعندما رأيتك أخيراً، وجدت أن حبيبتي ليدي أصبحت فاتنة تماماً».

حبيبته؟ فاتنة؟ شعرت ليدي بضعف في كيانها كله، لكنها حاولت الحفاظ على سيطرتها على نفسها. ثم قالت: «يومها لم أكن لطيفة معك».

ذكرها بلطف: «كنت تظنين يومها أنني تملصت من الدين الذي يتوجب عليّ لوالدك. من عادتي ألاّ أفكّر إلا بطريقة عملية مدروسة، لكنني فوجئت بنفسي يومها وأنا أتناول دفتر الشيكات. أنا أكن لوالدك تقديراً كبيراً، وقلت لنفسي يومها إنني أكتب هذا الشيك لأنه سبق وقدم لي دعماً مالياً عندما طلبت منه ذلك. كنت أعرف تماماً أنه رجل عزيز النفس وهو لن يطلب مني المساعدة إذا لم يكن واثقاً من أنه يستطيع التسديد. وهكذا دفعتك لأن تذهبي مباشرة إلى المصرف، كما تعلمين. لم أفكر حينها بأنني أريد استعادة المبلغ.. كنت أنت كل ما أفكر فيه».

رمشت ليدي بعينيها: «هل تقصد أنك.. شعرت بالانجذاب نحوي؟».

ـ كما قلت لك، لم أعترف حتى لنفسي بذلك. لكني أقول لك الحقيقة، عندما رأيتك في المسرح مع صديقك تشارلي لم أحب ذلك أبداً. شعرت وكأنني أصبت بلكمة في وجهي.

راحت ليدي تنظر بتمعن في أعماق عينيه الزرقاوين الساحرتين، فلم تجد أي أثر للتردد. هل يحبها حقاً؟ ما حصل من أحداث وما يحصل الآن جعلها في غاية الاضطراب حتى إنها لم تعد تعرف شيئاً. قررت أن تتمسك بالوقائع كما عرفتها، فراحت تتذكر: «طلبت مني المجيء إلى مكتبك صباح يوم الإثنين».

راح جون ينظر إليها، برقة.. جعلتها نظراته بالكاد تذكر لما ذهبت إلى

مكتبه لرؤيته. فجاهدت لكي تتذكر : «ذهبت لأراك لكي نتناقش في طريقة تسديد المال لك».

ـ ووجدت نفسي في حالة من التوتر.

ـ التوتر؟

فاجأها بابتسامة: «لم أكن قلقاً بشأن المال. أنت الوحيدة التي كنت قلقة بهذا الشأن. لكنني استخدمت هذا الأمر لمصلحتي».

شعرت ليدي بالارتباك: «لمصلحتك؟».

ـ عرفت أنني أريد أن أراك ثانية، ولا أريد أن أحرم نفسي من رفقتك. لكن، لست أدري ما الذي جعلني أخشى من التورط معك. لعله الحذر الذي تعلمته في حياة العزوبة الطويلة، أو لعله إدراكي أنك مختلفة. وبدا لي أن رؤيتك في حفل زفاف شقيقك ستكون فرصة جيدة. وفي الوقت نفسه لن يكون اللقاء شخصياً، لأننا لن نكون بمفردنا.

فعلّقت ليدي: «ألهذا طالبت بدعوة لحضور الزفاف؟».

ثم نظرت إليه بدهشة وبدأت تقول: «لكن.. بعد عرس أوليفر.. في اليوم التالي، عندما ذهبت لرؤيتك في شقتك اقترحت أن آتي برفقتك إلى هنا، يورك هاوس، لقضاء عطلة نهاية الأسبوع!».

ـ ولمَ لا أفعل؟ كنت قد أخبرتني للتو أنك خرجت مع صديقك تشارلي! أعلم، أعلم أنكما لم تكونا حبيبين. لكنني لم أكن أعرف ذلك حينها. ولم أعترف لنفسي بأنني كنت أشعر بالغيرة لمجرد التفكير بكما معاً، شعرت بغيرة قاتلة كالجحيم.

وجدت ليدي صعوبة في تصديق ذلك. جون يغار من تشارلي؟

ـ طلبت مني أن أقطع علاقتي به.

أمسك جون بيديها وأوقفها معه: «ليدي، أشعر أنني لا أستطيع الاحتمال أكثر. لعلي لم أتمكن من إقناعك بعد، لكنني حقاً أحبك كثيراً وإذا كنت تحبينني ولو قليلاً فاسمحي لي أن أضمّك إلى صدري».

ـ تريد أن تضمني؟

ـ احتاج لأن أضمك بين ذراعي حبيبتي.

لم يكن الأمر يتطلب سوى خطوة باتجاهه. سحبت ليدي نفساً مرتجفاً وخطت خطوة صغيرة لتجد نفسها بين ذراعيّ جون الذي غمرها برقة. بقيا على هذا الحال لدقائق طويلة رائعة، وأخيراً، تراجع قليلاً إلى الوراء ليتمكن من رؤية وجهها ثم راح ينظر إلى عينيها. إنه بحاجة لأن يعلم، فسألها: «حبيبتي، هل تحبينني بمقدار نصف ما أحبك؟».

وفجأة شعرت ليدي بالخجل، لكنها أدركت أن عليها ألاّ تكذب عليه، فهو يحبها. فهمست بارتعاش: «بل أ.. أكثر من ذلك».

أخذ نفساً عميقاً: «حبيبتي!».

عانقها بنعومة. ومرت لحظات رائعة قبل أن يتراجع قليلاً ليقول: «قوليها. قولي ذلك مرة أخرى».

سألته بسرعة: «مرة أخرى؟».

ـ لقد قلت من قبل «هل كنت تعلم أنني أحبك؟»، فانطبعت تلك الجملة في دماغي وفي قلبي.. وما زلت أحاول تصديق ما كنت أتوق دوماً لسماعه. هل يمكنني أن أسمع ذلك مرة أخرى؟

ابتسمت ليدي بخجل، ومن دون أن تأبه بأي عائق، قالت من دون تحفظ: «أحبك كثيراً جون ماريوت».

وقرّبها جون منه فتابعت تقول: «ظننت أنك علمت بحبي لك.. فشعرت بالارتباك لأني خشيت أن أكون قد أفشيت سرّي».

تمتم بالقرب من أذنها: «أنا سعيد لأنك قمت بذلك».

وهذه المرة تراجعت ليدي إلى الوراء: «هل كنت ستعترف لي بحبك لو لم يزل لساني أولاً؟».

عانقها جون، ثم نظر إلى عينيها الخضراوين المشرقتين نظرة ملؤها الحب ثم أعلن: «كنت آمل أن نتقرب من بعضنا البعض خلال شهر العسل، وأن أحصل منك على القليل من الحب».

همست قائلة: «حصلت على حبي كلّه».

راح جون يعانقها بابتهاج واضح. لم تنتبه ليدي كيف تحركا لكي يصبحا قرب المقعد. ووجدت نفسها جالسة إلى جانب جون، وقد التفت إحدى ذراعيه حول كتفيها فيما أمسكت يده الأخرى بيدها.

ـ ليدي الحلوة. لقد أدخلت البهجة إلى حياتي.

ـ حقاً؟

ـ ألم أقل لك ذلك من قبل؟

هزت ليدي رأسها نفياً.

ـ لطالما أردت أن أخبرك بذلك يا حبي. فمنذ رأيتك شعرت أن شعلة الحياة اتقدت في داخلي.

قالت ليدي بنعومة وعفوية: «وأنا أيضاً أحبك».

ابتسم لها جون ابتسامة مثيرة: «هذا ما كنت أتوق لسماعه».

سألته بأنفاس مقطوعة: «حقاً؟».

فأجابها: «حقاً. انتظرت ذلك بفارغ الصبر».

واعترفت: «وأنا أيضاً. لكن، متى عرفت ذلك؟».

ـ تعنين أنني أحبك؟

كان الجواب أمام عينيها. لكن جون ابتسم لها برقة وبدأ يقول بتمهل: «كان ذلك يوم الجمعة، اليوم الذي توفيت فيه عمتك. كان يفترض بك أن تأتي إلى هنا لقضاء عطلة نهاية الأسبوع معي. كان لدي بعض الأعمال في مكان قريب من قصر بيمهارست. ومع أنني لم أشأ الاعتراف بذلك، إلاّ أني لم أعد أطيق صبراً على فراقك. لكن، نزولاً عند رغبتك بقيت بعيداً عن المنزل وانتظرت في الجوار. كنت أنوي الاتصال بك من هاتف السيارة لأعرف لماذا ذهبتِ في الاتجاه المعاكس».

ذكرته ليدي: «لقد بدوت غاضباً».

فقال موافقاً: «بل كنت أحترق غيظاً. لم أشعر يوماً في حياتي أنني ممزق من الداخل على هذا الشكل».

أرادت ليدي أن تستمتع قليلاً بإغاظته فقالت برقة: «لأنني ذهبت في

الاتجاه المعاكس؟».

ـ بل لأنك قلت، حين أوقفتك، إنك لست قادمة إلى يورك هاوس، ثم رأيت حقيبة ثيابك على المقعد الخلفي للسيارة. بدا واضحاً أنك ذاهبة لقضاء عطلة نهاية الأسبوع مع أحدهم.. مع شخص آخر.

سألته بضعف: «مع تشارلي؟».

ـ بالضبط. لم أشعر من قبل بالغيرة بمثل ذلك الجنون. لقد أصابني هذا في الصميم! شعرت بالغيرة وأدركت حينها أنني وقعت في حبك.

تنهدت بنعومة: «آه، جون!».

وتذكرت ما حصل ذلك اليوم: «في ذاك اليوم بالذات، حين كنا في المستشفى، أدركت أنني وقعت في حبك».

ـ حبيبتي الحلوة.

وأخذ نفساً عميقاً، ثم ضمها إليه بقوة وراح يعانقها بنعومة..

ـ مضت أسابيع على ذلك اليوم. وطوال تلك الأسابيع لم يعرف أي منا شيئاً عن مشاعر الآخر.

اعترف جون وهو ينظر في أعماق عينيها: «كنت خائفاً من الإفصاح عن مشاعري».

حثته بتهذيب: «خائف؟».

ـ لقد عانقتك في اليوم التالي لوفاة عمتك، فدفعتني بعيداً عنك.

وتذكرت ليدي ذلك. لقد كان عناقاً رائعاً!

ـ وأدركت حينها أن علي ألاّ استعجل الأمور.

اعترفت ليدي: «ذلك العناق جعل رجليّ تتحولان إلى هلام».

أبعد جون رأسه إلى الوراء غير مصدّق وراح ينظر إلى وجهها فتابعت اعترافها: «أردت أن أبادلك العناق».

ـ لكنك دفعتني بعيداً عنك.

ـ كان علي أن أفعل.. شعرت بأنني أغرق، و.. لم تكن وحدك من يعاني من الغيرة اللعينة.

نظر إليها بذهول: «أنت كنت تشعرين بالغيرة؟».

ابتسمت ليدي: «لم أتمالك نفسي من التفكير في أنك قد تحتضن في تلك الليلة بالذات امرأة أخرى».

ابتسم جون وهو ينظر إلى وجهها: «يا لك من فاتنة!».

ثم عانقها من جديد وهو يقول برقة: «جمالك الفتّان يكاد يفقدني صوابي. هل تحبينني؟».

ـ كثيراً.

ـ حبيبتي!

ـ كل هذه الأسابيع..

وأكمل ما أرادت أن تقوله: «كنا واقعين في الحب من دون أن ندري. وخلال هذا الوقت، كنت خائفاً من أن يختطفك أحدهم مني. كان علي أن أتصرف بسرعة».

ـ وهكذا، أخبرت والدي أنك تريد الزواج بي.

ـ كانت تلك هي الحقيقة.

تنهدت وهي تشعر أنها في حلم لا تريد أن تستيقظ منه: «جون. لكن.. لم تشعر أن بإمكانك أن تخبرني بذلك.. كيف كنت تشعر حينها؟».

ـ كيف يمكنني ذلك عزيزتي؟ فأنت لم تظهري لي أي إشارة تدل على اهتمامك بي، لقد عانقتك.. فدفعتني بعيداً عنك. كما أن تشارلي كان دائماً في الصورة.

ـ تشارلي؟

ابتسم جون: «كانت أعصابي تتمزق.. فأشعر بالتهديد كلما نظر إليك رجل. لم تكن أمامي فرصة لأتودد إليك، فأنت شديدة الاعتزاز بنفسك. ثم إنّ الدين وقف حاجزاً بيننا؟».

حدّقت ليدي إليه بذهول شديد. كل تلك الأفكار كانت تدور في رأسه؟

ثم تابع: «سأعترف لك بالحقيقة ليدي. أصبت بالذعر خشية أن يأخذك أحدهم مني».

همست بحنان: «آه، جون».

تمهلت نظرات جون على وجهها الجميل قبل أن يتابع: «لم أتوقع أن تبتلعي ذلك الطعم حين قلت لك إن والدك سينسى ذلك القرض إذا كان من شخص من الأسرة..».

ـ ومع ذلك حاولت.. ونجح الأمر.

ابتسم ابتسامة عريضة: «نعم، لكن حين رحت تفكرين بمخرج لكي ترفضي الزواج بي، لم أستطع أن أخبرك عن بقية الاتفاق بيني وبين والدك. كما أكد لي هذا أنك لست متشوقة للزواج بي، ولم تتردّدي أيضاً في أن تقولي لي إنك لست مستعدة لتقبّل عناقي لك».

ـ جون. هل أذيتك بقولي هذا؟

ابتسم: «لقد تحسنت الأمور».

وعندما رأى نظرات التساؤل في عينيها قال: «منذ أسبوعين تقريباً».

حملقت في وجهه للحظة طويلة قبل أن تقول: «حين أتينا إلى هنا لكي أهرب بعيداً عن والدتينا اللتين كادتا تدفعان بي إلى الجنون».

ـ كانت عطلة نهاية أسبوع رائعة. لقد عملت بجهد لساعات طويلة خوفاً من أن أجد وقت فراغ يسمح لي برؤيتك ولو قليلاً، إذ خشيت أن يزل لساني وأفصح لك عن مشاعري. كنت في الوقت نفسه أتوق بيأس لرؤيتك ولقضاء بعض الوقت معك.

اعترفت ليدي: «كان الأمر مماثلاً بالنسبة إلي، لم أعد أطيق الانتظار كي يأتي يوم الجمعة».

وعانقها جون: «حبيبتي! كانت عطلة نهاية أسبوع ممتازة. فحتى ذلك الحين، أظهرت لي بوضوح أنك لا تريدين عناقي».

ذكرته بنعومة: «لكننا تعانقنا حينها، أليس كذلك؟».

طافت عيناه على وجهها ووافقها قائلاً: «نعم. كان ذلك رائعاً. ومع أن زواجنا كان وشيكاً حينها، إلاّ أنه لم تكن لدي النية في أن أخبرك بمشاعري نحوك خشية أن أنسف كل شيء».

توقف قليلاً عن الكلام ثم أضاف: «وعندما اتصلت بك من السويد، وقلت لي ببرودة إن ما بيننا ليس حباً متبادلاً، شعرت بالسرور لأنني لم أفعل.. مع أنني شعرت حينها بشيء من الاحباط».

ـ إحباط؟

ـ نعم. كان الأمر، بالنسبة لي حباً خالصاً، لكن كلامك راح يدفعني إلى الحضيض حيناً ليعود مرة أخرى ويرفعني إلى حدود الأمل. لقد جعلت قلبي يرقص فرحاً حين قلت: «ليتك كنت هنا». وما لبثت أن حطمته حين قلت إن السبب الوحيد الذي جعلك تتمنين حضوري هو حاجتك للمساعدة في نقل الأغراض إلى يورك هاوس.

نظرت ليدي إليه وعيناها تشعان بالبهجة. واعترفت: «لقد عنيت ما قلته حين قلت إنني أتمنى لو أنك معي. فقد انزلقت الكلمات مني بعفوية. ولم يكن حديثي عن الأغراض التي علي أن أنقلها إلى هنا سوى تمويه لئلا تظن أنني أشتاق إليك بصورة.. همم.. شخصية».

وكأن تلك الكلمة «شخصية» جاءت كإشارة له. فتوقف جون عن الابتسام ووقف على قدميه رافعاً ليدي معه. نظر إليها بإعجاب قبل أن يعانقها قائلاً: «كان يوماً طويلاً، يا زوجتي العزيزة».

ثم حملها بين ذراعيه قائلاً بنعومة: «إذا لم يكن لديك أي اعتراض، فأرى أن الوقت قد حان لنأوي إلى السرير».

علا احمرار خفيف بشرتها وابتسمت بخجل وهي تقول: «ليس لدي أي اعتراض على الاطلاق، يا زوجي العزيز».

ضحك جون برقة وابتهاج وهو ينظر إلى وجهها، وغدا وجهه أكثر قرباً وهو يهمس في أذنها: «لا تقلقي يا حبيبتي الحلوة. فسوف أكون معك دوماً».

ثم حملها ليصعد بها السلم إلى الطابق العلوي، وهو يعانقها بشغف وتمهل. سار بها إلى حياة زوجية مليئة بالسعادة والحب.

***